الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشعبيـة

وزارة التعليـم العـالي و البحـث العلمـي

جـامعة محـمد خيضـر – بسكرة –

كـلية الآداب واللغات

قســم الأدب واللغة العربية

الأنا في رواية: "التلميذ والدرس"

لمالك حداد

مذكـرة مقـدمـة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطـالـب (ة):

سوسن زاني

اعداد الأستاذ (ة):

غنية بوضياف

السنة الجامعية: 1434هـ / 1435هـ

2015 م/2016م

الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشعبيــة

وزارة التعليـم العـالي و البحـث العلمـي

جـامعة محـمد خيضـر – بسكرة –

كـلية الآداب واللغات

قســم الأدب واللغة العربية

الأنا في رواية: "التلميذ والدرس"

لمالك حداد

مذكـرة مقـدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعـداد الطـالـب (ة):
سوسن زاني

اعداد الأستاذ (ة):
غنية بوضياف

السنة الجامعية: 1434هـ / 1435هـ

2015 م/2016م

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة التوبة] الآية :**105**

شكر وعرفان

الحمد والشكر أولا وآخر لبديع السموات والأرض، ذي الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام، للمولى عز وجل الذي أمدني بالصبر والقوة لاجتياز المحن والصعوبات.

إلى معلم البشرية ومنبع العلم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أتقدم بشكري إلى من كانت خير سراج يستضاء به، إلى من أمدت لي يد العون وفتحت لي أبواب الأمل إلى أستاذتي الفاضلة " **غنية بوضياف**"

شكرا لك ايتها الغالية.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي:

إلى سندي الوحيد إلى تاج عزتي وكرامتي، إلى الذي أعانني في تحقيق آمالي أبي الغالي **"الشريف"**

إلى من ركع العطاء أمام قدميها وأعطتنا من عمرها وروحها ودمها حبا لغد أجمل، إلى الغالية التي لا نرى الأمل إلا من عينيها فأوقدت بهذا الأمل شعلة المستقبل أمي الحبيبة **" يمينة"**

إلى سندي في الحياة إخوتي:

نسيمة، لخضر، وسام، زينب، سمية، نسرين

إلى لآلئ العائلة:

رتاج، مؤيد، وائل

إلى الأخت التي لم تلدها أمي ابنة خالتي **سارة**

إلى جميع أقاربي

إلى من كان لمساعدته فضلا كبيرا **" قمر الدين"**

إلى من جمعتني بهم صدفة الأيام، فكانوا لي خير أنيس صديقاتي

إلى كل من نسيتهم بقلمي و لم أنسهم بقلبي.

مقدّمة

مقدمة

إن جدلية العلاقة بين "الأنا" و" الآخر" قد تضاربت نبضاتها عبر عصور الزمن، وتصارعت هذه الثنائيتين في الخطاب الفكري والنقدي على حد سواء، فإشكالية "الأنا" و"الآخر" هي عبارة على حالة صراع عاشتها "الأنا" ضد "الآخر"، حيث سعت هذه "الأنا" إلى وضع بصماتها وإضفاء أثرها في العالم أجمع، خاصة بعد الصفات التي أطلقها عليها "الآخر"، فأصبح من الطبيعي طرح إشكالية "الأنا" و"الآخر" في الرواية العربية، بهدف دفاع الأنا عن هويتها ونزعها لثوب النمطية المشوهة التي عانت منها في زمن مضى.

ومن هذا المنطلق حاول الأدباء العرب أن يزيلوا غشاوة "الأنا" المختزلة في"الآخر"، لتبرز لنا دراسة جديدة مهمة وهي دراسة صوت "الأنا" في مواجهة صوت "الآخر" في الرواية العربية.

ومن أبرز الروايات التي كان لها حظ الأسد في التحليل والنقاش نجد رواية **(التلميذ والدرس) (لمالك حداد)**، هذه الرواية التي تعد بثا لحياة جديدة في الرواية الجزائرية، وإبرازا لمفاتن أخرى من مفاتنها، والتي نجد لها انجازا عظيما في توسيع مفهوم "الأنا" ومفهوم "الآخر"، حيث سلطنا ضوء دراستنا في هذه الرواية على صورة "الأنا" التي مثلها الروائي في هيئة (الأب)، ثم حططنا الرحال على صورة "الآخر" التي مثلت لنا في الرواية بأشكال متعددة : (الابنة، الوطن، الحبيبة ...).

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار موضوع هذا البحث هو شغفنا في كشف خبايا هذا الموضوع، ووقوفنا أيضا على براعة الروائي في الربط بين الأحداث التاريخية الجزائرية المشبعة بالواقع بأسلوب أدبي راقي في هذه الرواية، وكذلك الكشف عن علاقة "الأنا" "بالآخر" في الأدب الجزائري.

والهدف من هذه الدراسة هو إماطة اللثام عن الغموض الذي يتعقبها من خلال طرحنا لجملة من التساؤلات التي تكونت من سؤال مركزي تعقبه أسئلة فرعية نصوغها كما يلي:

- **كيف تجسد القالب الحضوري للأنا في الرواية؟**
- **وأين تكمن مواطن التشابه والاختلاف بين الأنا والآخر؟**
- **وكيف تجلت نظرة كل منهما للآخر؟**
- **وما هي حقيقة الصراع بينهما؟**

وقد استعنا في بحثنا هذا بالمنهج النفسي الذي يعتبر المنهج الأنسب لمثل هذا النوع من الدراسات التي تعني بدراسة الإنسان من الجانب الداخلي، وتهتم بخباياه، ممزوج بآليات الوصف في سرد أفعال "الأنا" و"الآخر".

وقد ارتأينا في بحثنا هذا إتباع الخطة الآتية لضمان السير الحسن لثنايا موضوعنا هي:

مقدمة تبعها مدخل تحت عنوان الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وأهم روادها، حيث سلطنا الضوء فيه على الحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وأبرز كتاب هذا النوع من الرواية.

ثم يأتي الفصل الأول الذي عنوناه بالأنا مقابل الآخر وحوى ستة عناصر، الأول الأنا في المعجم، والثاني الأنا في المنظور الفلسفي، والثالث الأنا في المنظور النفسي، والرابع ظهور الثنائية الضدية في المعتقد الديني، أما الخامس علاقة الأنا بالآخر، والسادس التأثر والتأثير بين الأنا والآخر.

بعده مباشرة يأتي الفصل الثاني تحت عنوان الأنا في رواية التلميذ والدرس، اندرج تحته أربعة عناصر أولها الأنا عبر ضمائر السرد، وثانيها أنواع الأنا، وثالثها الصراع داخل الرواية، وأخيرا الهوية الثقافية.

ثم تأتي الخاتمة يتبعها ملحق ثم قائمة المصادر والمراجع ثم فهرس للموضوعات.

أما بالنسبة لأهم المصادر والمراجع فقد كان المصدر الرئيسي هو الرواية أما المراجع فقد اعتمدنا على كتاب (**التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر) لأحمد ياسين السليماني،** وكتاب (**صورة الآخر في التراث العربي) لماجدة حمود،** وكتاب (**نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة) لنجم عبد الله كاظم،** وكتاب (**ظاهرة الأنا في شعر**

المتنبي وأبي العلاء) لسهاد توفيق الرياحي، هذا وقد كانت هناك عدة مراجع ساهمت في إكمال هذا البحث.

وكأي باحث واجهتنا مجموعة من الصعوبات تمثلت في تشعب الموضوع، وكثرة المادة وعدم معرفة طريقة توظيفها، لكننا بعون الله تمكنا من تجاوز هذه الصعوبات مع صبر الأستاذة علينا.

وآخر محطة نقف عندها في هذا المقام أن نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير إلى كل من ساعدنا في انجاز هذا البحث سواء بكتاب، أو بنصيحة، أو بملاحظة مهما كانت بسيطة.

ونخص بالشكر أستاذتنا المشرفة (**بوضياف غنية**) التي لولاها لما كان لهذا البحث أن يرى النور، فشكرا لك يا أستاذتنا الفاضلة.

ونرجو من الله أن يكون هذا العمل الخطوة الأولى وبادرة الخير إلى أعمال أخرى.

مدخل:

الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وأهم روادها.

1. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.
2. أبرز كتاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

1. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

لقد تعددت الدراسات حول الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، حيث تعد دراسات فترة الاستعمار وما بعد الاستعمار من أهم الانجازات التي قدمت منذ فترة مبكرة، وعيا ضافيا بتلك المدونة من النصوص والأحكام والتصورات التي اعتمدت من طرف الدول الاستعمارية، وحددت من خلالها نظرتها إلى الأطراف والمستعمرات[1]، حيث بلورت هذه الدراسات الأولى نظرة كل طرف لطرف الآخر، و بفضل هذه النظرة والتصور ظهرت هذه الدراسات المبكرة.

ولنا من تلك المدونة فن من الفنون التي أخذت قسطا وافرا من الدراسة، وهو فن الرواية، ونخص منها الرواية الجزائرية التي أخذت اتجاهين، اتجاه كتب بالفرنسية واتجاه كتب بالعربية حيث " تعد الرواية فنا مستحدثا في الجزائر والمتتبع له، أي المتتبع لتاريخ حركة التجربة الروائية لديها في سيرورتها الأدبية والثقافية يلحظ أنها تجربة ذات طبيعة خاصة، وعرفت مخاض ولادتين ميلاد الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية، وميلاد الرواية المكتوبة باللغة العربية، ولقد تعالق مخاض كل ولادة بظروف خاصة، إذا كان وراء كل مخاض ولحظة ميلاد عواملها المؤثرة فيها، والظروف الخاصة التي أحاطتها، والسياقات التي تؤطرها وتؤطر نشأتها وتطورها"[2].

[1] ينظر: ادريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012، ص 65، 66.

[2] سامية سي يوسف: "اللغة وحظور الأنساق الثقافية في الخطاب الروائي: الأصل وترجمته، رواية "أواح البحر calumus" "لمرزاق بقطاش" أنموذجا" مخطوط ماجستير، تخصص الدراسات اللغوية والأدبية، إشراف أحمد حميدوس، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العقيد آكلي محند أولحاج، البويرة، 2014/2013، ص 9.

أي أن الرواية الجزائرية انبثق لها اتجاهين، رواية مكتوبة بالفرنسية، ورواية مكتوبة بالعربية، وكان لكل من النوعين ظروف خاصة أدت إلى ظهورها.

ومن خلال هذه الدراسات والتصورات الأولى للرواية الجزائرية، " يعترف أغلب الدارسين الجزائريين، أن علاقة الكاتب الجزائري بفن الرواية علاقة حديثة العهد، فهو لم ينتج شيئا ذا بال إلا في فترة متأخرة مقاربة بالمغرب والمشرق العربي، وأن بدايتها الأولى كانت اللغة الفرنسية، إذ تكاد تجمع أراء النقاد على أن طلائع الرواية الجزائرية بدأت مع الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية، فهي نقطة انطلاق لهذا الفن في الجزائر"[1]، هي نقطة اتفق عليها معظم النقاد والدارسين، وهي أن أول ظهور للرواية في الجزائر في أخطر مراحلها الأدبية، كان مع الرواية المكتوبة بالفرنسية، وأنها هي من مهدت لظهور الرواية المكتوبة بالعربية، وكانت السباقة في معالجة موضوعات عديدة، أهمها كان في الجانب السياسي والثقافي والاجتماعي، لأن "سؤال الكتابة باللغة الفرنسية ليس بالجديد على المشهد الثقافي المغاربي، فهو من أهم الظواهر التي سيطرت منذ سنوات متعددة على الدائرة الثقافية المغاربية، وصبغتها بمميزات وخصوصيات ربما لا يمكن العثور على ما يشابهها عالميا بسهولة"[2]، فالكتابة بالفرنسية لم تكن جديدة في بلدان المغرب نظرا لما لحق بهم من استعمار فرنسي.

[1] سامية سي يوسف: "اللغة وحظور الأنساق الثقافية في الخطاب الروائي"، ص 9.

[2] واسيني الأعرج: "الخطاب المغاربي المزدوج (اقترابات من ظاهرة الكتابة الأدبية باللغة الفرنسية الجزائر نموذجا"، التبيين،، دع، حيدرة، الجزائر، ص70.

وكما قلنا إن للاتجاه الذي كتب بالفرنسية كتابا كثرا ، " وأبرز كتابه محمد ديب، ومولود معمري، ومولود فرعون، وكاتب ياسين، ومالك حداد، وآسيا جبار ..."[1]، فكل هؤلاء تأثروا بأحداث الاستعمار، وجعلوا هذه اللغة سبيلهم لإيصال مبتغاهم للمستعمِر،" فلجوء هذه النخبة من الأدباء إلى الكتابة باللغة الفرنسية هو سبيلهم لمحادثة هذا الطرف في ظل الظروف التي فرضها هذا المستعمر على اللغة العربية بصفتها اللغة الأم، ولأن اللغة تعتبر الجزء الأهم من مقومات هوية الأمة، فقد استعملت فرنسا جميع الأساليب للقضاء على اللغة العربية، فقد كان غزوا فرنسيا للجزائر غزوا شاملا"[2]، بهدف طمس ملامح اللغة العربية ومقوماتها، أيضا وجدوا أن أدهم هذا "قد اهتم بتصوير ظلم الفرنسيين وإرهابهم للمواطنين، وقاوم التعريب والإدماج، وصور الفقر والبؤس والألم الذي عاش فيه الجزائري في ظل الاستعمار"[3]، فاللغة الفرنسية أصبحت واقعهم وملاذهم للتعبير عن آلامهم وآلام شعبهم، وهذا كله بسبب سياسات فرنسية طبقتها على الجزائريين، فأصبحت اللغة الفرنسية سبيلهم للتعبير، حيث "سماها مولود معمري سياسة الأفيون والعصا"[4] فالأفيون والعصا هي مجموعة من السياسات أطلق عليها هذه التسمية.

إن اللغة الفرنسية كانت منفى لتلك النخبة من الأدباء، وهذا ما كان "يحس به أدباء الجزائر الذين أراد الاستعمار أن يكون في لسانهم عقدة، يقول مالك حداد: "لقد أراد الاستعمار

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2006، ص 495.

[2] نوال بن صالح: "الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير(صراع اللغة والهوية)"، مجلة المخبر، ع7، بسكرة، 2011، ص 222.

[3] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص 495.

[4] أم الخير جبور: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية الفرنسية، دراسة سوسيونقدية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013، ص 32.

ذلك، لقد أراد الاستعمار أن يكون عندي هذا النقص لا أستطيع أن أعبر بلغتي"[1] وقد وصل الاستعمار الفرنسي إلى هدفه بجعل هذا النقص يعيش مع تلك النخبة حتى الموت.

عند انتشار اللغة الفرنسية ونشوء جيل الكتاب الجزائريين الذين لا يعرفون اللغة العربية، ثار جدال "حول جنسية هذا الأدب: هل يكون أدبا جزائريا؟ أم يكون أدبا فرنسيا؟"[2] حيث كان هذا النقد موجها إلى تلك الأقلية من الأدباء الذين غلبت على كتاباتهم الفرنسية، فنجد أن الرد كان حاضرا:" ويقول الأدباء الناطقون بالفرنسية بأنهم عرب، وبأن أدبهم عربي، فيقول مالك حداد:«نحن نكتب بلغة فرنسية لا بجنسية فرنسية»"[3]، وردا على هذا فإن رأيا آخر صدر عن الناطقين باللغة العربية جاء كالآتي:" أما الناطقون بالعربية فيعدون الأدب الناطق بالفرنسية دخيلا وقد نبت في ظروف تاريخية غير شرعية، ويذهب فريق آخر إلى أن هذا الأدب لا بد أن ينقطع أصله وإلى أن مصيره الزوال بزوال الأسباب التي أنتجته"[4]، إلا أن الكتابة باللغة الفرنسية تبقى ذلك النتاج الذي جاء في تلك الظروف الاستثنائية عقب الاحتلال الفرنسي، حيث نجد أن هذا الفن قد جسد تلك الظروف التي عانت منها الجزائر لنصف قرن تقريبا من مسخ لهويتها الثقافية والوطنية، وطمس لملامحها، هذه الاخيرة أطفأت شمعة الإنسان الجزائري ولغته من ميادين الحياة الأدبية والفكرية، لتأتي هذه الممهدات الأولى كبصيص أمل وأداة للتعبير عن أوجاع شعب قهره الاستعمار.

[1] نوال بن صالح: "الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير (صراع اللغة والهوية)"، ص 221.

[2] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص 294.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومما لا شك فيه هو أن هؤلاء الأدباء كانت لهم تقنيات في كتابة رواياتهم صبت في قالب واحد، وهي سرد الواقع – واقع الشعب الجزائري – هذا السرد بعيد كل البعد عن الأسطورة أو الخيال، حيث سلطوا الضوء في رواياتهم وجل أعمالهم الأدبية على الإنسان الجزائري عامة، وما عاشه أثناء تلك الحقبة، فمثلا رواية (ابن الفقير) (لمولود فرعون)، كانت رواية سرد فيها البطل ما عاشه هو وأهالي بلدته أثناء الاستعمار، أيضا رواية (العطش) (لآسيا جبار)، والتي تتحدث فيها "عن التنافس العاطفي والرغبة الشديدة في التحرر عند الشباب الجزائري"[1]، أي التحرر من قيود المستعمر، ورواية (الربوة المنسية) (لمولود معمري)، حيث ركز في هذه الرواية على الجوانب السياسية والاجتماعية للمجتمع الجزائري," فهي قصة ضياع الفرد أمام صعاب الحياة وضياع الشعب وآماله أمام الحرمان المتواصل"[2].

أما رواية (الحريق) (لمحمد ديب)، فهي عبارة عن إرهاصات للثورة الجزائرية، فنلحظ من خلال عمله هذا أنه كان مناهضا للتواجد الاستعماري، مما كان سببا في نفيه من بلاده، ورواية (نجمة) للروائي (كاتب ياسين)، التي كان يقصد بها الجزائر،فرواية(نجمة Nedjma) من أكثر الروايات تركيزا على أحداث (8 ماي 1945) لأن الكاتب فقد العديد من أفراد عائلته في هذه الأحداث الدامية"[3].

[1] أم الخير جبور: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية الفرنسية دراسة سوسيونقدية،، ص 328.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أي أن روايته قد ركزت على تاريخ الجزائر وما حدث بالجزائريين، أما إذا عدنا إلى روايات مالك حداد (التلميذ والدرس)، (سأهبك غزالة)، (الانطباع الأخير)...، نجد أن شخصية الروائي مهيمنة وذلك لما كان يسكن في خيال الكاتب من أفكار وهواجس وذكريات ليجسد واقعه على لسان شخصية أخرى، ليوصل تلك الأفكار إلى المتلقي، فجل أعماله التي سبق ذكرها تميزت بالتعبير عن حزنه وقهره بأسلوب واقعي: إذا " يبدو النمط الطاغي على هذه الروايات هي الواقعية، وهي واقعية تختلف عن تلك التي نظر إليها النقد أو كبار منظري الأدب"[1].

لذلك عدت الرواية الجزائرية الفرنسية اللغة من أجمل ما كتب في تلك الفترة بالنسبة للرواية العربية من حيث بنيتها وأحداثها، واعتبرت أدبا وطنيا صادقا رفيعا، صور معاناة وكفاح شعب حاول الاستعمار تجويعه وتفقيره ونهب حريته وهويته، إضافة إلى ذلك فهي تمثل لونا جديدا من ألوان الكتابة في الأدب الجزائري، مما يضفي عليه خصوصية تميزها عن باقي الآداب الأخرى "على الرغم من الانتقادات التي وجهت للنصوص الأولى المشار إليها (قبل السبعينات)، إلا أنها تبقى اللبنات الأولى التي مهدت لتكريس الخطاب الروائي الجزائري في السبعينات"[2] كما يعتبر اتفاق لغة جديدة – وهي اللغة الفرنسية – إثراء ثقافيا ومكسبا لغويا جديد لبلدان المغرب العربي في ظل التفاعل المعرفي والثراء اللغوي والتلاقح الثقافي بين ثقافات العالم.

[1] أم الخير جبور: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية الفرنسية دراسة سوسيونقدية،، ص 339.

[2] أحلام معمري:"نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية"، مجلة الأثر، ع20، ورقلة، الجزائر، جوان 2014، ص 61.

2. أبرز كتاب الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

الروائي	حـــــيـــاتـــه	مؤلـــفـــــــاته
مولود معمري	- ولد 18 ديسمبر 1917 بتوريت ميمون بالقبائل الكبرى. - 26 فيفري 1989توفي بعد حادث سير بعين الدفلة.	- 1952 نشر روايته الأولى الهضبة المنسية. - 1955 سبات العادل - 1965 الأفيون والعصا - 1982 الجولة
مولود فرعون	- ولد 8 مارس 1913 بنيزي هبيل Tizi Hibel بالقبائل العليا. - 15 مارس 1962 قتل من قبل L'OSZ.	- 1939 بدأ برواية ابن الفقير و لم تنشر إلا سنة 1950 على حسابه الخاص - 1954 نشرترواية الفقير من قبل Le Seuil - 1957 نشرت Le Seuil الدروب الوعرة - 1962 نشرت Le Seuil يومياته التي كتبها بين 1955 و 1960
محمد ديب	- ولد بتلمسان في 21 جويلية 1920 وسط عائلة متواضعة. - توفي سنة 2003.	- 1946 نشر أول قصائده في مجلة الآداب LES lettre التي تصدر بجنيف تحت اسم مستعار (ديابي Diabi) -1952 صدرت روايته الأولى الدار الكبيرة éd le seuil - 1954 الحريق

		- 1957 النول - 1959 صيف إفريقي - 1962 من يتذكر البحر - 1968 رقصة الملك - 1970 الرب في بلاد البربر
كاتب ياسين	- ولد يوم 7 أو 6 أوت 1929 بقسنطينة من عائلة شاوية بربرية. - توفي 28 أكتوبر 1989.	- 1946ينشر قصائده الأولى 1956 نشرت نجمة édlesuil Paris - 1966 نشر النجمة المضلعة Le polygone étoilé éd leseuil Paris
	[1]	
مالك حداد	- ولد بقسنطينة يوم 5 جويلية 1927 -توفي في 2 جوان 1978 بعد مرض عضالٍ	- 1958 الانطباع الاخير - 1959 ساهبك غزالة - 1960 التلميذ و الدرس - 1961 رصيد الازهار لا يجيب

[1] ينظر، أم الخير جبور: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية الفرنسية دراسة سوسيونقدية،(الملحق)، ص 444، 445.

اسيا جبار	- الاسم الحقيقي "إمليان فاطمة الزهراء". - ولدت بشرشال في 30 جوان 1936. -توفيت سنة 6 فبراير 2015.	- la Soif,éd Julliard 1957 العطش - Les impatients ,éd 1958 Julliard القلقون - Les enfants du 1962 noveau monde, éd Julliard أطفال العالم الجديد - Les Alouett naives 1967 éd Julliard القنابر الساجذة - L'amour la 1985 tantasia éd J.clattes الحب والفنتازيا - Ombresultane éd 1987 j,clattes الظل المركي - Loinde Médine éd 1991 albin Michel بعيدا عن المدينة - La femmesans 2002 sépulture éd Albin Michel المرأة دون دفن - La disparition de 2003 langue Française,éd Albin Michel زوال اللغة الفرنسية

[1]

[1] ينظر، أم الخير جبور: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية الفرنسية دراسة سوسيونقدية،(الملحق)، ص445، 446.

الفصـــــل الأول:

الأنـــا مـــقـــابـــــل الآخـــــــر.

1. الأنا في المعجم.
2. الأنا في المنظور الفلسفي.
3. الأنا في المنظور النفسي.
4. ظهور الثنائية الضدية في المعتقد الديني.
5. علاقة الأنا بالآخر.
6. التأثر والتأثير بين الأنا والآخر.

1. الأنا في اللغة:

وردت لفظة "الأنا" في لسان العرب على لسان الجوهري بقوله: " وأَمَّا قَوْلُهُمْ أَنَا فَهُوَ اِسْمٌ مُكَنًّى، وَ هُوَ لِلمُتَكَلِّم وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا يُبْنَى عَلَى الفَتْحِ فَرْقًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ التِي هِيَ حَرْفٌ نَاصِبٌ لِلفِعْل، والأَلِفُ الأَخِيرَةُ إِنَّمَا هِيَ لِبَيَانِ الحَرَكَة في الوَقْفِ"[1].

كما جاءت لفظة"الأنا" في معجم محيط المحيط بمعنى :" ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكرا ومؤنثا مثناه وجمعه نحن. الأنانة قولك أنا"[2].

أما في المعجم الوسيط فقط جاءت "أنا": "ضمير رفع منفصل (للمتكلم أو المتكلمة)"[3].

ويراد "بالأنا" في معجم الرائد: " ضمير رفع منفصل للمتكلم والمتكلمة"[4].

كما جاءت عدة تعريفات أيضا "للأنا" على أنها : "ضمير المتكلم الواحد، وهو تعبير عن النفس الواعية لذاتها، والأنا هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما واحد ومطابق لنفسه وليس من اليسير فصله عن أغراضه، ويقابل الآخر والعالم الخارجي ويحاول فرض نفسه على الآخرين"[5].

[1] ابن منظور الإفريقي، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف، مج 1، ج 3، دت، ص 160، مادة (أننا- أنّى).
[2] بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ط ج، 1987، ص 18.
[3] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004، ص 28.
[4] مسعود جبران: الرائد معجم ألفبائي في اللغة والإملاء، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2005، ص 152.
[5] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط 5، 2007، ص 95.

2. الأنا في المنظور الفلسفي:

لقد اختلفت رؤى الفلاسفة "للأنا" تبعا لاختلاف التيارات الفلسفية، والمذاهب الفكرية، وكذا المرجعيات، وتنوعت بذلك تعريفات الفلاسفة "للأنا"، تعريفات لم تكن وليدة الجدالات الفلسفية الراهنة، بل إنها منذ الحقب الأولى للفكر الفلسفي الإنساني المدون له، "فالأنا" عندهم " تطلق على الذات المفكرة العارفة لنفسها في مقابل الموضوعات التي تتميز عنها، فهي الوعي الذي تملكه الذات عن فرديتها المتميزة عن أشياء ذات وجود خارجي مادي موضوعي."[1]

وفي بحثنا عن مفهوم "الأنا" نرى أنه وجب علينا الوقوف أمام تساؤلات ملحة وهي" عندما أقول ذلك أي أقول « أنا » فهل أقصد ذلك الطفل الآن وهنا؟ أم أقصد ذلك الطفل الذي كان والمراهق الذي كان، والشاب الذي كان؟ ومن ثمة الكهل الذي هو الآن، والعجوز الذي قد يكون؟ فهل اقصد احد هؤلاء جميعا الذين يشكلون سلسلة متصلة الحلقات تكون في مجموعاتها هذه الذات الحاضرة التي تسميها « الأنا »"[2]، فيمكن أن نقول إن "الأنا" غير متحولة، وقد تكون كل تلك الشخصيات – الطفل والمراهق والشاب والكهل والعجوز– تمثل أنا واحدة.

[1] كريمة سعيدي:"صورة الآخر في أدب لرحلات العباسي ابن فضلان انموذجا"، مخطوط لنيل شهادة ماستر، إشراف سليم بتقة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013، 2014، ص 17.

[2] تركي الحمد : الثقافة العربية في عصر العولمة، دار السافي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 193.

و"للأنا" سمات عديدة فهي تعني عند الفلاسفة المسلمين الإشارة إلى النفس المدركة " قال ابن سينا: المراد بالنفس ما يشار إليه كل أحد بقوله : أنا، وقال الرازي أن النفس لا معنى لها إلا المشار إليه بقولي أنا."[1]

أما في المنظور الفلسفي الحديث "فللأنا" عدة معان: [2]

1. **المعنى النفسي الأخلاقي:** تشير كلمة أنا في الفلسفة التجريبية إلى الشعور الفردي الواقعي، فهي إذن تطلق على وجود تنسب إليه جميع الأحوال الشعورية.

2. **المعنى الوجودي:** تدل كلمة أنا على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي، سواء كانت هذه الأعراض موجودة معا أو متعاقبة، فهو إذن مفارق للإحساسات والعواطف والأفكار، لا يتبدل بتبدلها، ولا يتغير بتغيرها، فالأنا إذن جوهر قائم بنفسه وهو صورة لا موضوع.

3. **المعنى المنطقي:** تدل كلمة أنا على المدرك من حيث أن وحدته وهويته شرطان ضروريان يتضمنهما التركيب المختلف الذي في الحدس، وارتباط التصورات في الذهن، والأنا بهذا المعنى هو الأنا المتعالى وهو الحقيقة الثابتة التي تعد أساسا للأحوال والمتغيرات النفسية.

والملاحظ وما أصبح ظاهرا أن الوجوديين هم أكثر الفلاسفة انشغالا بالبحث عن "الأنا"ومسائلها والكشف عن مجالاتها العديدة،"فالأنا" عندهم جوهر حقيقي ثابت يحمل

[1] جميل صليبا :المعجم الفلسفي،ج1،دار الكتاب اللبناني،بيروت،لبنان،دط،1982،ص 139.
[2] ينظر:المرجع نفسه، ص 140، 141.

الأعراض نفسها التي يتألف منها الشعور الواقعي المفارق للإحساسات والعواطف والأفكار كما سبق و أن ذكرنا.

"فالأنا" جوهر قائم بذاته لا يتغير على الرغم مما يلحقه من الأعراض وهذا بتفاعل من "الآخر" إذ أنه " لا يمكن أن توجد الأنا بدون الآخر، والعكس صحيح، فهما وإن تباعدا وتنابذا، يتفاعلان فيما بينهما."[1] فيشكلان مؤسسة قائمة بذاتها.

و"الأنا" هي المتكلم نفسه عند الفلاسفة ، "والأنا رؤية الذات ومعرفتها وإدراكها."[2]

3. الأنا في المنظور النفسي:

لقد كانت الشخصية الإنسانية ميدانا للدراسة والبحث من قبل العلماء والباحثين في حقول شتى وهذا " ما يدعونا إلى الوقوف عند جميع القضايا المتصلة بعلم الشخصية، وهذا بدوره يقودنا إلى البحث عن تلك المجموعة من العناصر النفسية التي تقوم عليها دعائم النفس البشرية، لتساهم في بنائها واكتمال جوانب تكوينها النفسي."[3]

ولنا من تلك العناصر عنصر "الأنا" الذي هو مكون أساسي للشخصية الإنسانية، فقد عرفه (سيجموند فرويد "SIGMUND .FREUD")* على أنه :" ذلك القسم من الهو الذي

[1] محمد الداهي: صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013، ص11.

[2] عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض "أنموذجا"، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط 2، 2009، ص 186.

[3] سهاد توفيق الرياحي، ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء، (دراسة دوازنة نقدية)، دار جليس الزمان، عمان، ط 1، 2012، ص15.

* سيجموند فرويد: طبيب نفساني، ولد بالتشيك سنة 1856، توفي بلندن سنة 1939، من مؤلفاته: الأنا والهو.
https://on.m.wikipedia.ong: 11:00، 12 مارس 2016.

تعدل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثير مباشرا بواسطة جهاز الإدراك الحسي_الشعور_ وفضلا عن ذلك فإن الأنا يقوم بنقل تأثير العالم الخارجي إلى الصور وما فيه من نزعات ويحاول أن يضع مبدأ الواقع محل مبدأ اللذة الذي يسطر على الهو."[1] أي أن "الأنا" حسب رأيه يتوسط الهو والأنا العليا، والذي تعدّل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه.

ويبدو أن أول من كانت له الصدارة في الحديث عن "الأنا" هو الفيلسوف الألماني (سيجموند فرويد) الذي قسم الجهاز النفسي إلى ثلاثة أقسام هي: الهو، والأنا، والأنا الأعلى، "فالهو (ID) هو مركز الدوافع والرغبات، والأنا (EGO) يتفاوض مع الهو ويرضي الأنا العليا، والأنا العليا (SUPEREGO) هو الذي يبقينا على الصراط المستقيم الأخلاقي"[2]، فبعدما قسم فرويد الجهاز النفسي إلى الهو والأنا والأنا الأعلى جعل الأنا تتوسط بين الهو والأنا العليا لتشكل حلقة اتصال بين العالم الخارجي والحاجات الغريزية.

وما نفهمه من خلال تأملنا لكلام فرويد أن "الأنا" " هي وليدة لصراع قائم بين سلطة العالمين الخارجي والداخلي في وقت احتدم فيه الصراع بين قوى الشخصية الثلاث ودوافعها الغريزية، وبين الظروف التي تستشيرها في العالم الخارجي، فجاءت هذه "الأنا" تلبية لحاجة النفس البشرية للتوازن النفسي والاجتماعي، الذي يستدعيه مبدأ الواقع والعقل."[3] فالأنا عبارة

[1] سيجموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط 4، 1982، ص 42

[2] الباحثون السوريون: الهو والأنا والأنا الأعلى، ص 2

[3] سهاد توفيق الرياحي، ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء، ص 15، 16.

عن ضابط خلقي للفرد، أو ضابط إيقاع الغرائز، فكل دافع ينطلق من الهو ويحاول الأنا تمريره، يتوقف إشباعه على موقف الأنا الأعلى، وبذا يتحقق الإشباع لكل تلك الأقسام الثلاث.

كما نجد أن فرويد يرى أن " الأنا يفقد ارتباطه بالعالم الخارجي بين فترة وأخرى، وحين يعود إلى حالة النوم يحدث في تنظيمه تغيرات بعيدة المدى، فإن الأنا تتكون فيه منظمة خاصة، يدخل فيها تأثير الوالدين، وهو الجانب الذي يطلق عليه في علم النفس « الأنا الأعلى» وبقدر ما ينفصل هذا الأنا الأعلى عن الأنا، أو يعارضه، فهو يكون قوه ثالثة ينبغي على الأنا أن يعمل لها حساب."[1] وهذه القوة الثالثة هي الهو الذي يجب على الأنا أن ترضي رغباته لكي يحصل على جهاز نفسي متوازن.

أيضا يعرف (كارل غوستاف يونغ KARL GUSTAV JUNG)[*] :"الأنا بقوله: أعني بالأنا مركب تمثيل يشكل بالنسبة لي مركز الحقل الراعي ويبدو لي أن يمتلك درجة عليا من الاستمرارية والتماهي مع نفسه."[2] فهي بالنسبة له مركب من بين كل المركبات العديدة.

وعند الحديث عن الأنا فإنها "يجب أن تجرب ذاتها في سياق التفاعل وفي إطار كينونتها لتكشف عن مقدار إبداعها."[3] أي أن الأنا يجب أن تختلط مع العالم الخارجي لكي تكتشف

[1] أحمد ياسين السليماني: التجلبات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص98.

[*] كارل غوستاف يونغ: طبيب نفساني سويسري، ولد سنة 1875، توفي سنة 1961، ومن أعماله جدلية الأنا واللاوعي .....جوزيف كامبل: كارل غ: يونغ حياته وأعماله، www.maaber.org 19:20، 10 مارس 2016.

[2] كارل غوستاف يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، تر: نبيل محسن، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1997، ص 58.

[3] رولوماي: البحث عن الذات، تر: عبد العلي حساني، دار الفارس، عمان، ط 1، 1993، ص 99.

ماهيتها " فالذات هي الوظيفة التنظيمية داخل الفرد، وانه بواسطة هذه الوظيفة يصبح بمقدور الكائن البشري أن يتواشج مع غيره من بني الإنسان."[1]

كما نجد أن هناك من علماء النفس من فرق بين "الأنا" و"الذات"، (فيونغ) يراهما مركبين مستقلين بل يزيد الهوة لتصبح المسافة بينهما والتي تفصلهما "هي ذاتها بين الشمس والأرض" [2] ففي رأيه لا يمكن الخلط بينهما.

ويرى أيضا " أنا الذات كيان يفوق الأنا تنظيما تحتضن الذات النفس الواعية والنفس الجماعية وتشكل بذلك شخصية أوسع وتلك الشخصية هي نحن." [3] ذلك أن "الذات" أوسع من "الأنا" لاحتضانها أكثر من ذات.

أيضا عند الرجوع إلى (كتاب الذات عينها كآخر) نرى أن (بول ريكور RICOEUR PAUL) [*] يرى أن "الذات" ليست هي "الأنا" نفسها حيث يقول : " الكلام على الذات ليس الكلام على الأنا" [4]، فهو في رأيه أننا عندما نتكلم عن "الأنا" فنحن لا نقصد "الذات"، لأن لكل منها مفهوم.

[1] رولوماي: البحث عن الذات ، ص 103.

[2] كارل غوستاف يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، ص 190.

[3] المرجع نفسه، ص 94.

[*] بول ريكور: فيلسوف ومفكر وعالم إنسانيات فرنسي، ولد سنة 1913 وتوفي 2005، من أعماله الاستعارة الحية والزمن والحكي، ذياب شاهين: حياة بول ريكو www.alitihad.ae 15:00، 17مارس 2016.

[4] بول ريكور: الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، مركز المنظمة العربية، بيروت، ط1، 2005، ص 361.

كما نجد (إيغور كون RECONAYGO)* أيضا ممن فرقوا بين "الذات" و"الأنا" فيقول: "إن « الأنا» و «الأنا العليا» و «الهو» تعتبر عناصر ما يسميه فرويد الجهاز النفسي. (...) وإن الذات تعني مضمون النفس."[1]

ومنه نستطيع أن نفهم أن "الذات" أوسع دائرة من "الأنا" كونها تضم بالإضافة إلى الأنا الفردية أنا أخرى، ليكونا كيانا أكبر وهي "النحن" أو "الأنا الجماعية"، بحيث يصبح الآخر جزء مكملا للأنا ومرتبط بها، فنشأة "الأنا" رهينة بوجود "الآخر"." فالحديث عن الذات لا يعني بالضرورة الذات منفردة أو بمعزل عن كينونتها عن الذات الجماعية، فهي لا يمكن أن تنمو ولا تتجلى لها حقيقة جوهرها بمنأى عن الـــ (نحن) أو الذات الجماعية التي هي شكل من أشكال النمو المعنوي للذات الفردية."[2]

ويبقى مفهوم "الأنا" متعدد المدلول يتعدد باستخدام المنظرين فيرمز له مرة "بالأنا" وأخرى "بالذات"، فليس من الغريب إذن عدم وصول بعض المنظرين في علم النفس إلى وضع مفهوم محدد لهذا المصطلح وكل ما يتصل به أي الآخر.

* إيغور كون: أستاذ فلسفة يعمل في معهد الدراسات الأثنية والأنثريولوجية التابع لأكاديمية العلوم الروسية، روسي الجنسية، www.sst5.com، 21:15، 17 مارس 2016.

[1] إيغور كون: البحث عن الذات دراسة في الشخصية ووعي الذات، تر:غسان دارين نصر، دار مصر، دمشق، سوريا، دط، دت، ص29، 30.

[2] رولو ماي: البحث عن الذات، ص 6.

4. ظهور الثنائية الضدية في المعتقد الديني:

يشكل عنصرا "الأنا" و"الآخر" معادلة لا يمكن أن نهمل أي طرف فيها،" فبين الأنا والآخر علاقة جدلية لا ينبغي إلغاؤها أو تجاهلها والسكوت عنها، فعلاقة كل منهما شرطا لوجود الشرط الآخر وفهمه ووعيه والاعتراف به، ولعل الثنائيات الموجودة في الطبيعة والكون من ظواهر الطبيعة (البرد والحر، النور والظلمة) وجدلها (الثبات والمتحول، والنسبي والمطلق)، ومثل مفاهيم وقيم المجتمعات (الخير والشر، الصدق والكذب) هي بصورة ما تشبه علاقة الأنا بالآخر"[1] فنفهم أن لا "آخر" دون "أنا" ولا "أنا" دون "آخر" أي أنهما وجهان لعملة واحدة.

إن قضية "الأنا" و"الآخر" ممتدة منذ القدم ومنذ مجيء الإسلام، ومن هنا جاءت هذه الثنائية الضدية في القرآن الكريم، فالمعتقد الديني هو أول نشوء لظهور الثنائية في التاريخ الإنساني في مقابل الأنا، " فقد أجمعت الديانات السماوية جميعا على قصة آدم وحواء، ثم قصة قابيل وهابيل"[2]، فنجد أن القرآن الكريم قد أبرز من خلال هاتين القصتين "الأنا" ونشوء "الآخر" منه، "ففي الأولى كان آدم وحواء يمثلان ذاتا واحدة، وأنا متشابكة واحدة، في حين جاء الشيطان بمثابة الآخر، شهدت هذه العلاقة بينهم توترا معروفا، فبعد صراع إغوائي نفسي

[1] حسين العويدات: الآخر في الثقافة العربية في القرن السادس من مطلع القرن العشرين، دار السافي، ط1، 2010، ص19.

[2] أحمد ياسين السليماني: التجلبات الفتية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، ص 88.

بين الأنا الآدمية والآخر « الشيطان» استطاع الأخير أن يقسم الأنا الواحدة إلى أنا آدم وآخر هي «حواء»"[1] تلك المرأة التي أغوت (آدم) وكانت سببا في خروجه من الجنة.

ونعود إلى قصة (هابيل) و(قابيل) التي تعد أيضا مؤشرا آخر على انقسام "الأنا" وظهور "آخر" منها، " ففي الوقت الذي تشير فيه المرويات إلى سبب الخصومة التي تمت بين هابيل وقابيل، وردها إلى رغبة قابيل الزواج من أخته التي جاءت من نصيب هابيل لجمالها، فأوردت هذه الخصومة إلى قتل قابيل لهابيل"[2]

ولم تكن قصة (آدم) و(حواء) و(هابيل) و(قابيل) إشارتين وحيدتين، بل أورد القرآن الكريم العديد من الآيات التي ذكر فيها "الآخر"، فقد أورد هذه اللفظة – الآخر – بصيغة المفرد في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا**﴾[3]، أيضا قوله: ﴿ **وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ** ۚ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ**﴾[5]

[1] أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، ص 88

[2] المرجع نفسه، ص 89.

[3] سورة الإسراء، الآية 22.

[4] سورة يوسف، الآية 41.

[5] سورة المائدة، الآية 27.

ووردت بصيغة الجمع نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ**﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ **ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ** ﴾[3].

ووردت لفظة آخرين في القرآن الكريم فخصت أولئك المؤمنين الذين يثني الله عليهم واصفا أعمالهم في هذه الآيات نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ** ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾[5]، إلى غيرها من آيات قرآنية تبرز الآخر، ويمكننا القول إن لفظة الآخر يمكن أن تطلق على المؤمن وغير المؤمن من البشر وتتغير دلالتها حسب موقعها في الكلام.

والملاحظ من العلاقة الجدلية بين "الأنا" و"الآخر" أنها تعني في كل الحالات أنهما مرتبطان، فلا وجود "للأنا" دون "الآخر" والعكس، فعلاقة وجودهما إلزامية سواء أكانت علاقة تنافر أم تجاذب "فبالأنا" يعرف "الآخر" و"بالآخر" نحاول أن نفهم "الأنا"، لدرجة أنهما أصبحتا – الأنا والآخر– " ذاتان منفصلتان ومتصلتان في الوقت نفسه مفترقتان ومتحدتان (...) فلا تكون الذات إلا بوجود الآخر وهذه بديهة (ربما باستثناء الذات المطلقة ذات الإله)، والأمر

[1] سورة الفرقان، الآية 4.
[2] سورة الصافات، الآية 82.
[3] سورة الشعراء، الآية 172.
[4] سورة المزمل، الآية 20.
[5] سورة المزمل، الآية 20.

بمجمله يشبه صفحتي ورقة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر"[1]، أي أن علاقة هاتين الثنائيتين إلزامية لا محالة.

5. علاقة الأنا بالآخر:

لا يمكن للإنسان أن يعيش منفردا و وحيدا دون علاقة تربطه بالآخر، مهما كان نوع هذه العلاقة أو حجمها، لذلك نجده منذ بدايته وهو يصارع من أجل ألا يبقى وحيدا، ساعيا لتحقيق كيان مع الآخر فهو "حتمي للذات كما هي حتمية له، فقطب (الذات/الأنا)لا يستطيع أن يعيش إلا في علاقته بقطب(الآخر/الغير)، حقا إن المرء يولد بمفرده، ويموت بمفرده لكنه لا يحيا إلا مع الآخرين وللآخرين وبالآخرين."[2] أي بالآخرين تكون الحياة سوية متكاملة.

والحقيقة بالنسبة للقضايا الإنسانية أن "الآخر" هو عكس "الأنا" وفي الوقت نفسه مكمل لها فثمة تلازم بينهما حتى لا يكاد يشبه تلازم الزمان بالمكان " وفي الحالات كلها فإن لا آخر بدون الأنا ويقول بعض الفلاسفة وعلماء الإجتماع إن رفض الآخر يتأتى به بالدرجة الأولى، ويرى (حسن حنفي) أن الأنا هي مرجع تاريخي للآخر كما يرى غيره أن العلاقة بين الأنا والآخر تقوم مع قاعدة الحركة والصراع."[3] فقد يكون هذا "الآخر" هو الذي يعرف الذات فيبعثها على حقيقتها، فنجد هذا "الأنا" يعمل على فهم ذاته من خلال ذلك "الآخر".

[1] حسين العويدات: الآخر في الثقافة العربية في القرن السادس من مطلع القرن العشرين، ص 19.

[2] فاضل أحمد القعود: جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي دراسة نصية، دار غيداء، عمان، ط1، 2012، ص 33.

[3] حسين العويدات: الآخر في الثقافة العربية في القرن السادس من مطلع القرن العشرين، ص 20.

وكما يبدو مما سبق أن "الأنا" غير قادرة على العيش من دون "آخر" الذي يعرفها على ذاتها ويكملها، فالأنا حسب (تيزفيطان تودورف TODOROVTZVTON)* هي من تكشف الآخرين في ذاتها فيقول :" وبوسع المرء اكتشاف الآخرين في ذاته وإدراك أنه ليس جوهرا متجانسا وغريب بشكل جذري عن كل ما ليس هو: فأنا آخر لكن الآخرين أيضا أنوات: أنهم ذوات شأنهم في ذلك شأني، لا تفصلهم ولا تميزهم بشكل حقيقي عن نفسي غير وجهة نظري – والتي بموجبها يعتبرون كلهم بعيدين، بينما أكون أنا وحدي هنا (...)."[1]

وفي تحديدنا "للآخر" لا نستطيع أن نحرص على ذلك في مجال معين أو شخص بذاته لأن الإشكالية التي لا تزال تطرح إلى يومنا هذا هي من هو هذا "الآخر"؟ ومن هنا يمكن أن ترجع إلى "الأنا" فهي التي تحدد هذا الأخر بحسب الإشكالية أو القضية التي تواجهنا فإذا كانت شخصية دينية فربما ينظر إلى هذا "الآخر" على أنه ذلك الشخص الذي يختلف عنها في الدين، خاصة إذا كانت شخصيته متعصبة دينيا، وأما إذا كانت الذات ذكورية أو أنثوية فتنظر إلى هذا "الآخر" على أساس جنسي، يفرق بين جنس المرأة وجنس الرجل، وهكذا تختلف النظرة من ذات إلى آخر، ومن هنا كان على الذات أن تكون ذاتا وأنا موضوعية غير تعصبية حتى تستطيع أن تعرف هذا "الآخر" وتفهمه.

* تيزفيطان تودوروف: بلغاري الأصل وباحث في المركز الوطني للبحث العلمي بباريس، ولد في عام 1939، من مؤلفاته: شاعرية النشر، وفتح أمريكا مسألة الآخر. ينظر: https://ar.m.wikipedia.org، 18:09، 20 مارس 2016.

[1] تيزفيطان تودوروف: فتح أمريكا مسألة الآخر، تر: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ط 1، 1992، ص 9.

وإذا اختزلنا دائرة "الأنا" فإننا نجدها في الاستخدام الشائع ترمز إلى الشرق أو العرب المسلمين، أما الآخر فيرمز إلى ذلك الغربي الأوروبي، أو النصراني اليهودي " وعليه لنعترف بعدم إمكانية تجاوز مثل هذا التداخل ودلالة المصطلحات الثلاثة على شيء واحد في كثير من الأحياء، ونحن نتعامل مع كتابنا (العرب) تحديدا، أو الذات العربية، أما (الآخر) فمع دلالته الشاملة على كل ما هو غيرنا نحن الشرقيين أو المسلمين أو العرب، فإننا لا نعني به (الغرب) تحديدا، وذلك لخصوصية علاقتنا به، فنحن لا نستطيع في معرض الحديث عن الذات العربية أن نتجاهل هذا الآخر/الغرب، سواء بوجهه الإيجابي أو السلبي".[1] أي أن مفهوم "الآخر" لا يخرج من المصطلحات السابقة الذكر.

وإذا رجعنا إلى "الأنا" فإننا نجدها قد أخذت عدة صور عن ذلك "الآخر" ونوعت في رؤيتها له " حيث لم يتم رسم صورة الآخر، سواء في الثقافة العربية أم الغربية في حالة واحدة، فقد تعددت حالات فهمه وقراءته".[2] فقد كانت وجهات النظر في هذا على أشكال متعددة.

ومنه نرى أن مواقف "الأنا" (العرب) في الخطاب الثقافي نحو ذلك "الآخر" (الغرب) قد تعددت إلى ثلاثة مواقف وهي كالآتي: [3]

1. **الموقف الأول:** موقف الإعجاب بالآخر، وربما الحماسة لإقامة علاقة معه.

[1] نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 39.
[2] ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص27.
[3] ينظر: نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، ص 52.

2. **الموقف الثاني:** موقف الرفض للآخر، وربما الصدام به ومقاومته.

3. **الموقف الثالث:** موقف الحياد من الآخر مع الاستجابة المشروطة.

1. الموقف الأول: موقف الإعجاب بالآخر، وربما الحماسة لإقامة علاقة معه:

لقد ظل "الأنا العربي" معجبا ومنبهرا من "الآخر الغربي" وتجلى هذا الإعجاب في تلك الثقافة الغربية من حركات فكرية وعلوم لم يأت العرب بمثلها "كل ذلك بدأ العرب ينفتحون عليه أو ينفتح به الغرب نفسه عليهم، عبر تفاصيله التي أذهلت العرب، بدءا من حملة (نابليون) وما تلاها من تعزز للعلاقات"[1]، فمن خلال هذه العلاقات حدث تقارب وهذا "التقارب بين الأنا والآخر لن يكون إلا عبر ظلال الحب والاحترام الذي يتجلى بالاعتراف بخصوصية الآخر"[2] وذلك لكي يكون هناك انفتاح ايجابي بين الحضارتين.

ومنه فإنه يمكننا القول أن هذا الانبهار بالحضارة الغربية هو الذي جعل العرب يتحمسون لإقامة علاقة أخذ من هذه الثقافة التي كان الغرب هم السباقين لها.

كما يمكننا القول أن "الآخر" يبقى حاملا لمعاني القوة والتقدم والتطور في انتظار لحاق "الانا" التي لا تزال راكدة في مكانها تنتظر وتندد وتتمنى رفع رأسها الذي أتعبته الطأطأة في ظل هذه الصراعات الحديثة.

[1] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، دط، 2013، ص 167.

2. الموقف الثاني: موقف الرفض للآخر، وربما الصدام به ومقاومته:

من الطبيعي أن يكون بين العرب والغرب عداوة وذلك منذ القدم حيث " قامت العلاقات بين العرب والمسلمين وبين الأوروبيين على الصراع الذي تمظهر في حركات الاستعمار، والاستعمار الجديد"[1] لأن دول الغرب بحكم أنها كانت الأقوى استعمرت تلك الدول الضعيفة وأبادتها.

كذلك للعامل التاريخي دور في ترسيخ تلك الصورة السلبية على الغرب " خصوصا في النصف الثاني من القرن العشرين، يقول عبد محمد بركو مثلا: عملت العوامل التاريخية الآنفة الذكر على استفحال ظاهرة الخوف والنفور من الغرب وساهم ذلك بظهور الحركات الكارهة للغرب"[2] "فالأنا" تحاول بدورها أن تكشف صورة هذا "الآخر الغربي" وتحاول أن تفهم سبب تخلفها وتراجعها بالنسبة إليه في حين نجد أن "الآخر" يحاول أن يفهم هذا العربي المسلم لكي يبسط سلطته عليه ويتحكم فيه.

إن الغرب ليس الأقوى، فطرة من عند الله، وإنما ذلك معتقد قديم ترسخ في الفكر العربي عن طريق فرض الغربي نفسه بواسطة الاستعمار على أساس أنه مركز القوة وأنه القوة التي سير العالم، أما في الحقيقة يمكن القول إن " الحضارة والقيم الأوروبيان لم يكونا ممكنين بدون عطاءات الإسلام بل إن الطهطاوي يذهب بعيدا في القول أن المعرفة الأوروبية التي تبدو

[1] عبد الله أبو هيف:"صورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية العربية"، مجلة جامعة دمشق، ع5/4، دمشق، 2008، ص 105.
[2] نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، ص 56.

أجنبية ليست سوى معرفة إسلامية"[1] أي أنه لولا الإسلام لما كانت كل تلك الثقافات لدى الغرب، ومن هنا نفهم " أن الشرق سبق الغرب في حضارته وأن حضارات الشرق عاشت أكثر من حضارات الغرب"[2] وذلك بفضل الإسلام.

ومنه نرى أن حقيقة " إمكانية التزاوج والتفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية أمر مستحيل، لأن أي دراسة متعمقة للأساسات التي قامت عليها كل من عائلة الحضارة الإسلامية وعائلة الحضارة الأوروبية لا تترك مجالا للشك في أن لكل منهما طريقا مختلفا وسياقا خاصا"[3] لأن لكل ديانته وحضارته، فالإسلام يدعوا إلى التعاون والتسامح بينما الآخر دأب ومنذ قديم الزمان على الغدر والخيانة ونقض العهود والوعود قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ**﴾[4]

3. الموقف الثالث: موقف الحياد من الآخر مع الاستجابة المشروطة:

إنه موقف وسط بين موقف الحماسة "للآخر" وبين الرفض المطلق له، لأنه إذا مال هذا "الأنا" إلى "الآخر" إلى درجة الحماسة به فهذا يلغيه وتصبح تبعية، ولا لدرجة رفضه وأخذ صورة سيئة له، فالأنا "يلتقي جزئيا مع موقف الإعجاب بالآخر ، فإنه ينفصل عنه في عدم

[1] محمد نور الدين أفاية: الغرب في المتخيل العربي، مشوارات دائرة الثقافة والإسلام، الشارقة، ط1، 1996، ص26.
[2] أحمد أمين: الشرق والغرب، مطبعة الجنة لتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1955، ص17.
[3] محمد مورو: الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة، الدبس للنشر،دط، 2001، ص 76.
[4] سورة الأنفال، الآية 55.

ذهابه بعيدا ليتحمس له وعدم تقبله إلا قبولا مشروطا، وهي مشروطية تقربه من موقف الرفض أيضا ولكن دون التطابق معه بالطبع، في ظل امتلاك الآخر ما يغرينا لنأخذه وبقاءه على مستوى معين من الصراع لنقاوم ونرفض ما يتناقض فيه ولديه مع حضارتنا"[1] وسيظل هذا الصراع الحضاري قائما إلى يومنا هذا.

إن ما جعل "الأنا" تأخذ هذا الموقف الحيادي من "الآخر" هو حضارتها الإسلامية التي تعد أكبر الحضارات، رغم انبهارها بحضارته وثقافته التي لم تظهر لدى هذا الأنا إلا متأخرة، فالعطاءات كانت متبادلة بينهما، فالأنا أخذ من هذه الحضارة الغربية والآخر أخذ من الحضارة الإسلامية.

ومنه يمكننا القول إنه "مع ازدياد سوء التفاهم بيننا وبين الآخر وامتلاء قلوب الكثيرين بمشاعر الضغينة ضد الآخر المختلف بتجانس، أننا بأمس الحاجة اليوم إلى دراسة صورة الآخر فهي تغني شخصية الإنسان فيزداد فهما لذاته وللآخر"[2] وذلك عن طريق لغة الحوار بين "الأنا العربي" و"الآخر الغربي" بعيدا عن تلك الأحقاد والعقد النفسية.

6. التأثر والتأثير بين الأنا والآخر

إن التواصل بين المجتمعات جزء من تلك الحضارة الراقية، وهذا التواصل هو من يبني تلك الجسور بين "الأنا" و"الآخر" على أساس الاحترام والتسامح المتبادلين، فيكون التأثر

[1] نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، ص 57.

[2] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، ص 32

والتأثير بينهما ايجابي حيث أخذ "الآخر" من "الأنا" و"الأنا" من "الآخر"، وقد كان أول مصدر تأثر الغرب به هو الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، فقد "كان للقرآن الكريم الفضل في ظهور مؤلفات تتناول شرح القرآن، ومن أبرزها كتاب المترجم ب. بوجدا نفيتش الذي ظهر في نهاية القرن الثامن عشر بعنوان « محمد والإسلام»"[1] فنفهم أن هذا الكتاب قد ألف محتواه من القرآن الكريم خاصة ومن الإسلام عامة.

كما تأثر العرب بالغرب من خلال تلك البعثات العلمية والترجمة والطباعة والفنون التي أتت مع حملة نابليون، حيث انبهر العرب بهذه الحضارة الضخمة فأصبحوا ينهلون ويقلدون حتى تكونت لديهم ثقافة خاصة بهم فأبدعوا في عدة مجالات، إذن إن "التأثير متبادل بين تلك الأقطاب (الذات- الذات، الذات- الذوات، الآخر، الذات- العالم) والتفاعل بين أي زوج منهما يهن ويشتد وإن بقي ما بقيت أطرافه"[2].

إن التأثر بين "الأنا" و"الآخر" لا يظهر فقط من الناحية الأدبية، أي لم يتأثروا فقط بالأدب من روايات وأشعار وملاحم بل تجلى التأثر وكما نرى في عصرنا الحديث في الأفكار، حيث أصبحنا نقلد الغرب في كل شيء صغيرا كان أم كبيرا، فكل هذه ممارسات تكاد تكون غريبة عن مجتمعنا إلا أن هذا لم يمنعنا من تقليدهم.

[1] أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، ص 319.

[2] نجيب الحصادي: جدلية الأنا والآخر، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1، 1996، ص7.

ومنه تصبح الآن الصورة واضحة عن تلك العلاقة بين "الأنا" و"الآخر"، فالتأثر والتأثير هنا يتجسد في تبادل الأفكار والعادات والثقافات نتيجة احتكاك القطبين ببعضهما البعض، "فعلاقة الانسان العربي عموما مع الغرب هي علاقة ذات وجهتين: علاقة كراهية من ناحية، وعلاقة حب من ناحية أخرى"[1]، وهذه العلاقة تبنى على أساس الاحترام المتبادل لكي يتمكن الإنسان العربي والغربي التعايش في جو من التفاهم والسلام.

[1] ابراهيم أحمد ملحم، قراءة الآخر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص 19.

الفصـــــل الثاني:

تجليات الأنـــا في روايـــة التلميـــذ والدرس.

1. الأنا عبر ضمائر السرد.
2. أنواع الأنا في الرواية.
3. الصراع داخل الرواية.
4. الهوية الثقافية.

1. الأنا عبر ضمائر السرد:

من المستحيل أن نجد أعمالا أدبية سواء أكانت شعرية أو نثرية تخلو من ضمائر السرد (أنا، أنت، هو...)، "فالضمير الأكثر انتشارا بالسرد هو الـــ« هو» أو الـــ «هي» يليها الـــ «أنا» ثم «أنت» أو الـــ «أنتِ» ومن النادر أن يكون السرد بأحد ضمائر الجمع « كالنحن والأنتم والأنتن» خلافا لما نجده أحيانا في السرد المسرحي على سبيل المثال"[1] وهو ما سنأتي على توضيحه من خلال دراستنا لرواية (التلميذ والدرس).

1) ضمير الغائب "هو" ودوره في سرد الرواية:

إن ضمير الغائب (هو) من أكثر الضمائر استعمالا وشيوعا في الأعمال الأدبية لأن السارد يمر عبر هذا الضمير إلى أفكار كانت في الماضي ليسترجعها في حاضره، قد تكون هذه الأفكار عبارة عن حديث أو عبارة عن حدث أراد الروائي استرجاعه ليوضح شيئا ما مثلا نجد في الرواية الراوي يسترجع حدثا كان في الماضي وهو انتشار وباء في قرية (بني يوسفي)، فيدور حديث بينه وبين قائد هذه القرية، فيتحدث السارد في الرواية عن القائد بضمير الغائب لأنه يسترجع فيقول: "يكلمني القائد قايد دوار بني يوسفي، رجل ضخم وذكي ورغم ذلك فهو أنيق جدا، خسارة فرغم ذلك فهو حثالة"[2]

[1] صالح صالح: سرد الآخر، المركز الثقافي العربي، دب، ط1، 2003، ص63.

[2] مالك حداد : التلميذ والدرس، تر: شرف الدين شكري، ميديا-بلوس، قسنطينة، دط، 2009، ص 103.

وأيضا في حديث دار بينه وبين ذاته عن نفس القائد يقول: "لا يلح ثم يتوجه إلى مأدبة الطعام، الخمر خطيئته التي تتجاوزه قبحا، ورغم ذلك فهو لا يتوانى في الذهاب كل جمعة إلى المسجد والتصريح علنا بأنه ينوي الحج إلى بيت الله الحرام"[1] هو استرجاع لحديث دار في ذهنه منذ زمن مضى بضمير الغائب (هو).

وفي موضع أخر نجده يسترجع لمشهد مع حبيبته (جرمين) فيقول:" إلا أنها صمتت ودفعت بنفسها إلى أحضاني"[2] فضمير الغائب هنا نلمسه من خلال سياق الكلام.

وكذلك نلمح مثل هذه الصورة في وصفه (لعُمار) فيقول: " لعمار عينان صادقتان، إضافة إلى أنه يمتلك حظا لا يقارن، لكونه شابا لأن في هذا الزمن"[3]، إن هذا الضمير يفصل زمن القصة عن زمن الحكي، فعند توظيف هذا الضمير يحيل لنا استعماله لزمن سابق، وهو ما رأيناه في كثير من محطات الرواية، كما نلاحظ أن استعماله لضمير (الهو) ليس بغرض التحقيق وراء شخصيته الحقيقية وإنما بغرض استرجاع أحداث مرت في حياته.

[1] مالك حداد : التلميذ والدرس، 104.
[2] المصدر نفسه ، ص 96.
[3] المصدر نفسه، ص 144.

2) ضمير المخاطب "أنت" ودوره في سرد الرواية:

إن ضمير المخاطب من الضمائر الأقل ورودا في الأعمال الروائية "والسبب في ذلك ربما لحداثته، لأنه حديث النشأة في الكتابات السردية المعاصرة" [1] أما إذا ذهبنا إلى الحاجة التي دفعت إلى استخدام هذا الضمير كنوع جديد هو أن " "أنت /LE VOUS" يلتبس مقام "الهو /IL"، بالإضافة إلى أنه يقبع محل الشخص المتحدث عنه كما أنه يمتد ليحيل على " الأنا/JE" "[2]، أي أن هذا الضمير بإمكانه أن يأخذ مكان الضمير (هو) والضمير (أنا) ليقوم بوظيفة كليهما.

وعند قراءتنا للرواية نجد أن البطل استعمل ضمير المخاطب في محطات من الرواية في حديثه عن ابنته، غير أننا لا نجد هذا الضمير ظاهرا وإنما نفهمه من سياق الكلام، حيث يقول وهو يخاطب (فضيلة) ابنته :" أشك أيتها الصغيرة، لماذا جئتي ، انظري إلي وجها لوجه بحق السماء"[3]. هو خطاب وجهه الأب لابنته دون التصريح بالضمير مباشرة.

في قول آخر من حديثه مع ابنته :"حدثيني عن الجزائر ...."[4] وفي هذا القول وكأن (الأنت) هنا جاءت لقاء مع العقدة النفسية، وربما النرجسية المندسة أو الماثلة في "الأنا" حيث يصبح (الأنت) كقارب نجاة يبلغ من خلاله "الأنا إلى شاطئ النجاة، بعد طول عناء، ففي

[1] نعيمة قوادي:"جماليات تماهي الأنا والأنا الآخر في رواية السير ذاتية بحر الصمت، لـــ ياسمينة صالح أنموذجا"، مخطوط ماجستير، تخصص تحليل الخطاب السردي، إشراف عبد القادر عميش، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حسين بن بوعلي، الشلف، 2008، 2009، ص89.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 21.

[4] المصدر نفسه، ص 23.

الأنت خلاص الأنا"[1] وهو ما نراه في حديث السارد الذي جاء بنيرة العتاب نتيجة لضغط عاش معه، وكأن هذا "الأنا" يعاتب "الأنت" لكي يشاركه هذا الحمل الثقيل الذي لاحقه طول حياته، أيضا نجد هذا النوع من العتاب في قوله لابنته:" ولكن أيتها المتعبة، سوف تنالين ضربة على مؤخرتك"[2] فهو يحاكم (فضيلة) للتخفيف من ذلك الحزن الذي بداخله.

وإذا رجعنا إلى استعمال الراوي المباشر لضمير (الأنت) نجده قد صرح به في بعض محطات الرواية، يقول: " أنت تعلم بأني أدعمك كلية..."[3] وفي قول آخر: "أنت تعلم فيما يخص فن التوليد، فأنا لست في المستوى المطلوب "[4] في هاتين المحطتين من الرواية نجد أن الراوي صرح بضمير المخاطب، إلا أننا وعند قراءتنا لكل الرواية نلاحظ أن جل استعماله للضمير (أنت) كان غير مباشر، فالكاتب جعل هذا الاستعمال المباشر وغير المباشر (للأنت) جسر عبور إلى الراحة بهدف التخفيف من ألمه وحزنه.

ورغم ذلك فإن (الأنت) لا يمكن فصله عن (الأنا) لأنه وفي كثير من الأحيان بواسطة (الأنت) يعرف (الأنا)، وفي أي عمل أدبي تستعمل فيه ضمائر السرد، يستوجب وجود ثنائية (الأنا) و(الأنت).

[1] قوادي نعيمة:"جماليات تماهي الأنا والأنا الآخر في رواية السير ذاتية بحر الصمت، لـــ ياسمينة صالح أنموذجا"، ص 90.
[2] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 25.
[3] المصدر نفسه، ص 105.
[4] المصدر نفسه، ص 106.

3) ضمير المتكلم " أنا" ودوره في سرد الرواية:

يستعمل الراوي هذا الضمير ليتفرد بالحديث عن نفسه من خلال سرده للأحداث، "والسارد وهو يستعمل ضمير الأنا المتكلم يعرض خطابه الروائي داخل الرواية ويتفرد بالحديث عن نفسه في أعمق مستوياتها الباطنية، ينسى القارئ الكاتب الحقيقي الذي يصبح مجرد شخصية من شخصيات هذا الشريط السردي الذي يزدحيه باحتراف فني "[1] ،حيث يوهم ضمير (الأنا) في الرواية بوجود الكاتب وراء الشخصية الساردة ذلك ليجعل القارئ يتعلق بالعمل أكثر، موهما إياه أن الكاتب هو شخصية الرواية الفاعلة على لسان سارد، فمن خلال هذا الضمير نرى ذاتا رغم غيابها إلا أنها تبرز ذاتها وتأكدها بصورة ما عن طريق ضمير (أنا) وإذا عدنا إلى رواية (التلميذ والدرس) نرى وكأن المؤلف أو صاحب العمل سرد حياته على لسان بطل آخر بحكم أن بطل الرواية وأحداثها جزائرية، وهو واقع المؤلف، فالأنا في هذه الرواية هو اللسان الناطق لصاحب العمل، إذ نجد البطل يعرف نفسه بضمير (الأنا) فيقول :"أدعى إيدير، إيدير صالح، أنا هو الدكتور إيدير صالح، وأقطن مدينة فرنسا الصغيرة ... "[2] ،

فقد خص بالذكر فرنسا لكونها البلد الذي درس فيه أيضا لكونها البلد الذي استعمر وطنه الجزائر ودمره.

[1] بوزيد نجاة: "الكتابة السردية في الرواية الجزائرية"، ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي أنموذجا"، مجلة مقاليد، ع8، جامعة مستغانم (الجزائر)، 2015، ص124.

[2] مالك حداد، التلميذ والدرس، ص 12.

ثم يأتي أيضا على سرد أحداث جرت معه في الماضي فيحييها في لحظة الراهن بضمير (انا)، حيث يتحدث عن ابنته (فضيلة) فيقول:" أنا بالكاد أب لها، شرعيتي الوحيدة أستمدها من عاطفتي نحوها"[1]

ليقول في موضع آخر متحدثا عن شبابه:" وأنا أقلب ساعات الذكريات كان شبابي شديد الحماقة، إلا أنه يمتلك قلبا، إلا أنه كان أحمقا"[2]،فالكاتب هنا يخرج من أناه المنغلقة إلى أناه المتحررة التي كانت تعيش الأمل والحياة لا اليأس والتشاؤم.

ويقول أيضا في تعاطفه مع حكاية ابنته (فضيلة) التي تريد إنزال ولدها :"رأيت حلما عجيبا تعاطفت من خلاله مع قضية فضيلة، لا أتقن الكتابة، من هنا نشأ إحساسي، غير أن الشقاء يخلق الشعر"[3] أيضا في حديثه عن مهنته فيقول:" أنا طبيب لأنني عجوز، أنا طبيب لأنني أحب العائلات، أمنح الفرحة للعائلات، أوطد علاقاتهم، يأتون لرؤيتي لكي يهنئونني على إعادة فرد منهم إلى عائلته"[4] فالسارد هنا يلبس ضمير المؤلف ليفرغ ولينقل أخبارا عنه وعن أحداث جرت في الماضي أتعبته، كذلك في حديثه عن حرب الجزائر وما فعله المستعمر بالمواطنين فيقول :" أعلم بأن أرباب عائلات قتلوا أرباب عائلات، أعلم بأنهم ما زالوا يقتلون أرباب العائلات،

[1] مالك حداد، التلميذ والدرس، ص 15.
[2] المصدر نفسه، ص 43.
[3] المصدر نفسه، ص48.
[4] المصدر نفسه، ص55.

أعلم ذلك"[1]فالرواية طغى عليها ضمير (الأنا) أكثر من الضمائر الأخرى، لأن السارد يبوح لنا بحياة عاشها في الماضي.

أيضا نجده يسرد لنا قصة ذهابه إلى بيت صديقه (كوسيت) فيقول: "استقبلتني السيدة كوسيت بتأثر عميق ..."[2]،فالانا هنا غير ظاهرة الا انها تفهم من خلال سياق الكلام.

" أقوم ثقيلا خجلا أسير خلفها إلى صالون آخر، هذه الساعة الحائطية التي تستقبلني لن تتوقف أبدا."[3]

نلاحظ هنا أن هذا العمل الروائي قد اقتصر على شخصية واحدة تسرد أحداثها وأحداث غيرها على لسانها بضمير (أنا) غير أنه أعطى نصيبا للضمائر الأخرى (هو، أنت ...) لتساهم في اكتمال هذا العمل.

ومنه فإنه يمكننا القول أن أنجح الأعمال الأدبية الروائية هي تلك التي تستطيع اللعب بجميع الضمائر، دون أن تغلّب ضمير على آخر، وهو ما وجدناه في رواية (التلميذ والدرس) حيث غلب المؤلف ضمير (أنا) إلا أنه لم يكن عيبا في الرواية لأنه أعطى للضمائر الأخرى (هو) و(أنت) جزءا من رواتيه مما جعلها تبدوا متوازنة لا يطغى فيها ضمير على آخر.

[1] مالك حداد، التلميذ والدرس، ص69.

[2] المصدر نفسه، ص 153.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2. أنواع الأنا في الرواية:

لقد شكل توظيف "الأنا" في الروايات العربية عدة دلالات، وكان هذا التوظيف لهذه الدلالات متشابها من خلال الالتفات إلى الذات المبدعة أو أناها بأية صورة من الصور.

1) الأنا المتألمة:

الألم إحساس يحاصر "الأنا" ويدفعها إلى محاولة التخلص منه عبر عدة طرق، وقد يكون البوح والكلام إحدى هذه الطرق "فالإحساسات المؤلمة تننزع نحو التغير والتفريغ، وهذا هو السبب الذي من أجله نفسر الألم على أنه يتضمن ازدياد شحنة الطاقة النفسية بتصرف الدافع المكبوت فهو بيدي قوة دافعة بدون أن يلاحظ الأنا ما في ذلك من التزام."[1]

إن رواية (التلميذ والدرس) تضج بالألم عبر أصوات عدة فيفصح الراوي عن ألم حقيقي مصدره ذلك المحتل الذي هدم بلاده ونهب خيراتها وسلب حريتها من جهة وألم ابنته التي لم تستطيع المحافظة على هويتها من جهة أخرى.

فحين نتحدث عن الألم في الرواية فإننا نجد له سمات عدة إذ نصطدم بهذا الألم من خلال تعريف البطل لنفسه حين يقول:" أدعى إيدير، إيدير صالح، أنا هو الدكتور إيدير صالح وأقطن مدينة فرنسا الصغيرة الناعسة منذ 1945"[2]، فعندما بدأ بتعريف نفسه ربط كلامه بالمدينة الصغيرة الناعسة وكأن ألمه الداخلي جعله يرى تلك المدينة ناعسة، وقد كرر هذه الجملة

[1] سيجموند فرويد: الأنا والهو، ص 138.

[2] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص12.

أكثر من خمس مرات، فيقول في موضع آخر :" ... تبدوا المدينة الصغيرة نعسانة، إنها دائمة النعاس هذه المدينة الصغيرة"[1]، وكأنه بهذه الكلمة يؤكد لنا عمق هذا الألم الذي جعله يرى مكان عيشه ألا وهو فرنسا مرتبطة بالليل والظلام، ويؤكد ذلك أيضا بقول آخر:" السواد الكثيف يخيم على المدينة الناعسة"[2] ،فنفهم من خلال هذا أن نظرته كانت سوداوية للحياة حيث كانت تلك المدينة في ظلام ونعاس دائمين، بالإضافة إلى استعماله لكلمات عديدة كالليل والخريف التي ورد ذكرها أكثر من عشر مرات فالخريف "يمثل فصل الموت والانتهاء والذبول، يأتي بعد فصل الربيع وما يضم الربيع من خضرة والعشب والورد والاخضرار والحياة، فيأتي فصل الخريف فتتساقط الأوراق وتصفر والصفرة من حيث العموم تدل على المرض والموت وهذا التساقط يوحي بمشهد يعني الانتهاء في مشهد يوحي بالكآبة والحزن"[3]، وهذا ما نجده متجليا في الرواية حيث يتضح لنا تشضي "الأنا"، أنا الراوي من خلال قوله :"وكالخريف أنا أتسكع برفقة الأوراق الميتة التي تتكدس في شوارع المدينة الصغيرة" [4]ومن هنا نفهم أن الروائي كان ينظر إلى الحياة بمنظور الموت، حيث كان اليأس والموت منتشران في حياته وفي كل مكان منها.

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 10.

[2] المصدر نفسه، ص 15.

[3] ظاهر محمد هزار الزواهرة: اللون ودلالته في الشعر، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص 252.

[4] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 125.

هذه السمات وغيرها مؤشر غير كافي لتجسيد الألم الذي استقر بداخل الراوي مما يجعلنا نورد مظاهر أكثر لتلك الأنا المتألمة من خلال ما ورد ذكره في الرواية، لأن الكاتب عاش تجارب حزينة ومؤلمة صنعتها له الحياة، فالألم الذي حل بالجزائر أثقل كاهله فأصبح جزءا منه يصارعه طوال حياته مجسدا ذلك في قوله: "يجبان المطر الذي يجعل الحلزون وبائعي الورود يخرجون إلى الشارع، يجبان الجو الجميل الذي يجعل الأزاهير تخرج من آلام مايو، شهر الألم 1945 عام الشقاء، الجو جميل الذي يجعل البساتين مضيئة، تخرج الدموع تنبثق هذا الشهر، هذا الشهر الذي فاق الجميع في لعنته، شهر الجحيم !..."[1] فالكاتب هنا استرجع ذلك الحدث في ذلك اليوم المشئوم الذي شبهه بالجحيم، و الذي ترسخ في ذهنه فجعله يعيش في الم دائم، وهو مجازر 8 ماي 1945 التي خلقت آلاف القتلى، وتشريد العائلات وتجويع الأطفال في قوله:" أعلم بأن أرباب عائلات قتلوا أرباب عائلات، أعلم بأنهم مازالوا يقتلون أرباب العائلات."[2]

كما يقول أيضا في ألم الجزائر:"سنوات مرت الآن، وكل أماسي الاثنين تصدح القناة الفرنسية أر.تي.أف بحصيلة أمجادها التي مفادها أنه: تم القضاء في الميدان على كذا جزائري..."[3] يقول سنوات مرت وكأن هذا الألم مازال متواصلا في ذاته، وأن السلام لن يعود بعد كل هذا

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص27.

[2] المصدر نفسه، ص 69.

[3] المصدر نفسه، ص 31.

الألم والحزن فيقول :" بإمكان السلام أن يعود، لكنه لن يعود إلى الأذهان بشكل مبكر"[1] ومازال زمن الحزن بين طيات الغيب، فليس لهذه المجازر نهاية، إلى متى !!

كذلك نجد البطل (صالح إيدير) يواجه عتاب ابنته التي ألقت لومها عليه لتركه وطنه :"أنت تجهل الأمور !..." [2] وتعيدها بنفس النبرة :" أنت تجهل الأمور ! تعيش في فرنسا منذ عقد، لم تعد تعرف لا شباب ولا شيوخ بلدك لقد غادرت ....."[3] حيث يمتزج هنا ألم الذات بألم الواقع ليصبح ألما متضاعفا فهي تقول لأبيها كان عليك أن تكون بجانب بلدك وأن تتحمل مسؤوليته كغيرك من شبابها وشيوخها، فقد كررت ذلك عدة مرات لتؤكد أن والدها ارتكب ذنبا حيث ترك بلده ليعيش ببلد المستعمر، لتضيف قائلة :" هذا جيد لم تعد تعرف لا شيوخ ولا شباب بلدتنا"[4]

فعتاب ابنته له زاد من عمق ذلك الألم والحزن حيث يقول:" واصلت جولتي الحزينة، وكنت أردد بأن الحرب هي أغنى ما يمكن أن يصله الإنسان من خروج عن المعنى"[5] ليؤكد لنا بهذا القول أن الألم الذي يعانيه البطل ليس ألم الحرب والمستعمر فقط، بل هو ألم داخلي

[1] مالك حداد:التلميذ والدرس ، ص 32.
[2] المصدر نفسه، ص51.
[3] المصدر نفسه ، ص 51.
[4] المصدر نفسه، ص 52.
[5] المصدر نفسه، ص60.

يصارع "الأنا" ويمزقها إذا يصرح البطل فيقول :" أنا لا أفقه شيء يا ربيعي الصغير، أنا أتألم"[1]هنا نجد الراوي قد غلب عليه اليأس حتى درجة الألم والانكسار.

فالأحزان ليست غريبة عن الراوي، بل تسكن دواخله، وتقتات من فرحته، إذ يعبر عن آلامه التي تتضاعف بابتعاد حبيبته فيقول :" دوما تحضر جرمين، لا معنى للحرية في غياب حبي جرمين ليست عيبا، إن لي الحق في الجنون، لا في التعقل: نعم أو لا ..."[2]ليضيف قائلا:"وجرمين ماذا تفعل الآن، أين هي، بما تحلم؟ لا أستطيع أن أتخيلها عجوزا، فهي دائما تسكن عمر الذكريات التي لا تني تتجدد" [3] إن غياب محبوبته عنه جعله يدخل في عالم من الجنون النفسي و الهلوسات نتيجة الحنين والشوق ورغم أنه مضى وقت طويل على فراقها إلا أنه مازال يبحث عنها وعما تفعل وعن حياتها الشخصية :" كم يبلغ من العمر الآن، هذا الولد، ولد جرمين؟ من السهل حساب ذلك ، ست أو سبع عشرة سنة ...أ هو ولد؟ أ هو بنت"[4] إن طول هذه الجراح التي عاشت معه صارت جزءا منه حتى في مشيبه، فقد عاش حتى كبره يصارع تلك الأحداث التي مر بها وحده.

ونجده حتى آخر الرواية يصارع ألم الذات مع نوع الندم، يقول :"في ذلك اليوم هجرت سعدية، هجرت فضيلة، هجرت القرية، هجرت اللقلق اي اعتدت على رؤيته، مصابيح "الأستلين" التي أعرفها، الحلزون الذي أعرفه، في ذلك اليوم كنت أنوي هجر جرمين،

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 67.
[2] المصدر نفسه، ص 133.
[3] المصدر نفسه، ص 124.
[4] المصدر نفسه، ص 125.

هجر ماضي كنت أجهل بأن الماضي يحاصر الطلاق وينتقم داخل ذكرياتنا"[1] كان يتحسر على ماضي ضاع منه و لم يعشه ظنا منه أنه لن يلاحقه، غير أن ذلك الماضي الذي تركه خلفه لاحقه حتى الكبر، فالرواية من بدايتها وحتى النهاية تضج بالألم الذي نغص حياة الراوي بصورة مباشرة.

2) الأنا المتشائمة:

ينظر للتشاؤم على أنه قلق من المستقبل فهو نوع من الخوف مما سيأتي، ولكن هذا الخوف متعلق بسبب ما. فهو "توقع سلبي للأحداث القادمة، يجعل الفرد ينتظر حدوث الأسوأ، وبتوقع الشر والفشل وخيبة الأمل، ويستبعد ما خلا ذلك إلى حد بعيد"[2] ،حيث إن المتشائم يركز على أثر ذلك التشاؤم على نفسه.

فالتشاؤم يجعل تلك "الأنا" تنظر إلى ماضيها وحاضرها ومستقبلها بصورة سوداوية، فمن سمات التشاؤم داخل الرواية استعمال الكاتب لكلمة الليل لأكثر من ثلاثين مرة " رغم ذلك فإنني أحببت الليل، لما يجلبه من وحدة وتأمل إلا أنني أحب رؤية الظلام في عيني، الليل لا يجعل العالم سوادا فالليل هو النظام حين يعود إلى العقل وإلى المدينة، هو سلم الشجعان"[3] حين نمعن النظر إلى حديث الكاتب نجده قد اتخذ الليل ملاذا لأوجاعه وآلامه.

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 143.

[2] بدر محمد الأنصاري: التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، جامعة الكويت، الكويت، ط1، 1998، ص16.

[3] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 64.

فالليل هو من يقاسمه حزنه، هذه الجراح جعلته يرى الحياة كسواد الليل فيغيس في تلك الظلمة مع آلامه، والليل دليل على الموت،وعلى الحياة البائسة المملوءة باليأس والحزن والألم وهذا ما جسده لنا الكاتب في روايته، كما نجده قد ألصق عمره وكل حياته بالليل فيقول:" عمري ...هو عمر الليل، اختلق حناني لكي لا أشعر بالبرد الشديد، أحيط نفسي بالصمت والليل"[1] فالليل والصمت وحدهما يشعرانه بالدفء، وحدهما قادران على إعطائه الحنان الذي ينقصه، في قول آخر:" فإنني استمع إلى مواء الليل"[2] أيضا:" أرمق الليل ونجمات بلادي، أنا مولع بالليل"[3] فهنا يصرح بولعه وحبه لليل هو تشاؤم يجلب لدى المتلقي الشفقة على الأنا المستعرضة للألم وهي غير قادرة على مواجهته داخل ذلك الفضاء النفسي الحزين المظلم، لذلك يمكننا القول إنه "لا يبتعد مصطلح التشاؤم كثيرا عن واقع الأنا في توحد الأسباب التي ألقت به عثرة في طريق مبادرة الأنا اتجاه الإصلاح والتغيير، إذا ينهض كل من المصطلحين على أنقاض هزيمة الفرد في تحقيق التوافق الاجتماعي"[4] أو تحقيق التوافق في الأنا نفسها .

وفي قول آخر نجده يتحسر ويتأسف على رحيل الليل الذي كان يؤنس وحدته:" للأسف انتهى الليل"[5] عند انتهاء الليل تكون حياته قد ضاعت بين الآلام والأحزان، لأن الليل قد رحل وهو من كان يخفف وحدته وألمه وحزنه.

[1] مالك حدادا: التلميذ والدرس، ص 64، 65.
[2] المصدر نفسه، ص 66.
[3] المصدر نفسه، ص 107.
[4] سهاد توفيق الرياحي: ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء، ص 40
[5] مالك حداد: التلميذ والمدرس، ص 226.

بالإضافة إلى كلمة الليل نجد كلمة الموت التي أوردها عدة مرات في الرواية:" تقصص علي فضيلة أغنية حب تتحدث عن الموت، عن الكآبة عن كتاب تاريخ سيتحول إلى رواية بوليسية"[1] فمن نظرته التشاؤمية رأي أن أغنية الحب هذه تتحدث عن الموت لا عن الحب، كما يقول أيضا:" أشعل سيجارة، أرغب في الموت"[2].

وقول آخر :"مررنا وسط الحياة، صفحة تقلب أنا أيضا من سوف يُدْفَن ..."[3] هي نظرة كل متشائم للحياة وكأنه يمل من هذا الحزن والألم الذي يحاصره فيكون مبتغاه الموت، حيث " تبدو الأنا محتضنة فكرة الموت ومتمثلة لها، فيصبح الموت الذي ينفي الحياة ظاهرا، مؤكدا لها ومحركا لقوى الذات، كي تنفي عنها هاجس السكون الأبدي"[4] أي أن السبيل الوحيد الذي تفكر فيه "الأنا" لتتخلص من هواجسها وهلوستها وجنونها هو الموت الأبدي.

إضافة إلى ذلك نجد أن الراوي متخوف من المستقبل في قوله :" مشكلة الخيار لن تتغير من رأي فهي لن تستطيع أن تقتلع مني قناعة أني إنسان فاشل، لا أنتظر أية فرحة قد تبدوا من المستقبل، المستقبل ليس فرضية وهو ذو قيمة ما ورائية"[5] فالمستقبل في نظره مجهول لا يستطيع إعطاءه أية فرحة مادام الماضي قد سرق كل أفراحه.

[1] مالك حداد: التلميذ والمدرس، ص 40.

[2] المصدر نفسه، ص 132.

[3] المصدر نفسه، ص 148.

[4] ابراهيم ملحم: جماليات الأنا في الخطاب الشعري، دار مكتبة الكندي، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص15.

[5] مالك حداد: التلميذ والمدرس، ص 135.

أما إذا ذهبنا إلى آخر صفحات الرواية فنجد الراوي قد وصل إلى طريق مسدود حيث يقول :" هدوء هذه الأماكن يبعث فيا الطمأنينة بمعنى أدق، فإنه لا يوجد مكان يبعث على الأمان مثل المقبرة لأن الأموات وحدهم من ينصرفون إلى حالهم"[1] وهنا يبلغ الراوي الذروة في تشاؤمه، حيث أنه وجد راحته حيث يتواجد الموت، فاعتبر أن المقبرة هي مهربه الوحيد وملجأه لأن صوت ألمه لا يجد صدى العتاب في ذلك المكان بين الموتى.

وهنا نرى أن تشاؤم الروائي ممزوج بالحزن حتى لا نكاد نفصل بينهما فقد أتى بألفاظ تتناسب مع الحزن فمزجها باليأس الذي يتطابق مع التشاؤم، فشكلت ثلاثية (الليل والخريف والموت) مظاهر الألم وبواعثه لدى أنا الراوي.

3) الأنا المعتزة:

لا يكاد يكون هناك فرق كبير بين الاعتزاز والفخر، وحديثنا عن إحداهما يصب في خانة الآخر، فالاعتزاز كلمة مأخوذة من " اعتز به، تشرف وعد نفسه عزيزا به"[2] أما الفخر فهي مأخوذة من " (فَخَرَ) الرجل –فخر فخرا، وفخارا، وفخارة: تباهى بماله وما لقومه من محاسن وتكبر، فهو فاخر، وفخور و–الرجل–فخرا: عليه في الفخر"[3]

[1] مالك حداد: التلميذ والمدرس ، ص 150.

[2] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص 598، مادة (عَزَبَ، عَزَفَتْ)

[3] المصدر نفسه، ص676، مادة (فَحْفَحَ، فَخَرَ)

فالمصطلحان يصبان في حقل دلالي واحد وهو تمجيد النفس كنزعة إنسانية طبيعية خلقت في بني آدم.

وعند ما نتأمل روايات فترة الاحتلال وما بعده نجدها تروي مآسي تلك الشعوب المحتلة، إلا أن هذا لا يمنع من الاعتزاز والفخر بالجهود التي قام بها المستعمر من أجل أخذ حريته، أيضا الاعتزاز بأبطال الثورة الذين خلدهم التاريخ.

وحين نتحدث عن اعتزاز "الأنا" أو "الأنا" المعتزة فإننا نجد هذا الاعتزاز إما أن يكون من "الأنا" إلى"الأنا ذاتها"، وإما أن يكون من "الأنا" إلى "الآخر" وإما أن يكون من "الآخر" نحو "الأنا".

فالاعتزاز والفخر طبع في الإنسان وبالأخص العربي فـــ" العربي نزوع بفطرته إلى العلاء ميال إلى التعالي والمباهاة، شديد الاندفاق بما في نفسه من نزعات، والتغني بما فيها من حسنات" [1] وهذا ما نجده في الرواية حيث صرح الراوي بأن ابنته جميلة دون وضع مساحيق التجميل يقول:"يا إلهي أيعقل هذا، هل خرجت فعلا لتوها من الثانوي؟ نهداها شديدا الاستدارة، ليس لديهما ميل لمواد التجميل، هي امرأة دون أن تلجأ إلى مواد التجميل، إنها جميلة، أصرح لكم بذلك."[2] فهو يعتز ويفتخر بجمال ابنته الطبيعي، ويؤكد نفس الكلام بقول

[1] حنا الفاخوري: الفخر والحماسة، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص9.

[2] مالك حداد: التلميذ والمدرس، ص 14.

آخر: " صحيح فضيلة جميلة. أصرح بأنني فخور، أصبحت والدها، الحرب موجودة"[1] الراوي هنا كان اعتزازه وفخره بابنته صريح "كم كانت جميلة !..."[2] فتكراره لهذا الحديث هو التأكيد والاعتزاز بجمال ابنته.

أما اعتزاز الراوي بنفسه فهو صورة أخرى للاعتزاز، فيقول متحدثا عن نفسه على لسان والده:" ابني في باريس، إنه يدرس... وإذا بشيوخ القرية يحنون رؤوسهم خشوعا وإذا بوالدي يتخفى وراء افتخاره بإشعال سيجارة، ووالدتي تبعث إلي بطرود تصلني متنوعة، طرود تفوح منها رائحة القلب الطيب، أخواتي كن يتدججن أما بنات أقاربنا بصوري أمامه البول ميشش"[3]، إن الراوي في هذه الصورة كان يعتز بنفسه لمكانته، وفخر أهله به لدراسته في فرنسا. إذا جاء الاعتزاز هنا بنبرة النرجسية أيضا.

أما الصورة الأخرى من اعتزاز الأنا هي اعتزازها بدينها:" كأس شمبانيا؟ يعرض عليا القائم الإداري

- لا شكرا، أنا لا أتناول الكحول

-أنت حكيم

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 46.

[2] المصدر نفسه، ص 84.

[3] المصدر نفسه، ص 86.

– لست حكيم، أنا مسلم، هذا كل ما في الأمر."[1]

لقد حقق الراوي وصية من وصايا الدين وذلك ، استنادا لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾"[2].

في هذا المقطع من الرواية بيان لاعتزاز الراوي بدينه وحمله راية الإسلام تاجا على رأسه، ودليل ذلك اجتنابه لإحدى المحرمات رغم الوسط الذي يعيش فيه.

3. الصراع داخل الرواية:

إن الصراع بين "الأنا" و"الآخر" صراعا طويلا يرتد إلى البدايات الأولى للإنسان كما تبدى ذلك واضحا في الصراع بين الأخوين (قابيل) و(هابيل) هما أول اثنين وردا ذكرهما في القرآن الكريم، في رواية (التلميذ والدرس) سنتطرق إلى نوعين من الصراع، صراع "الأنا" مع "الأنا"،و صراع "الأنا" مع "الآخر".

1) صراع الأنا مع الأنا:

عندما نتكلم عن "الأنا" فإنه " لا يمكن تجاهل الدور الذي يضطلع به الآخر بشأن تصور الذات لذاتها، ولا يمكن تجاهل الصراع الذي يحصل بين الذات والآخر، فالآخر حاضر

[1] مالك حداد: التلميذ و الدرس، ص 105، 106.

[2] سورة المائدة: الآية 89، 90.

وبكيفية وجودية، إنه يشعل أفقا للذات وأحيانا جزءا من النظرة إلى الذات"[1]، "فللآخر" دور في وجود ذلك الصراع القائم بين "الأنا" و"الذات" وحتى أنه قد أصبح جزءا منها.

وعند قراءتنا للرواية نجد أن هذا النوع من الصراع أي صراع "الأنا" مع "ذاتها" قد غلب على صراع "الأنا"مع "الآخر"، فيكاد ينعدم هذا النوع الأخير من الصراع، وما نفهمه عند قراء الرواية هو أن الراوي يسترجع أحداثا كانت جزءا من حياته، فيتكلم عن ما جرى في بلاده الجزائر عند احتلال فرنسا لها، من نهب وسلب وقتل وتعذيب ...، كما نجده يعاتب ذاته على رحيلها للعيش بفرنسا وتركه لبلده، وهو في أمس الحاجة إليه، كما يسترجع لنا حياته مع زوجته وحبيبته، فهو يحن إلى الماضي، كل هذه الأحداث كانت في قالب صراع، نجد الراوي يستفتح روايته بالحديث عن ابنته (فضيلة):" لم أعهد ابنتي بهذا الجمال، بهذه الوقاحة والشراسة، ليس للزمن ذاكرة، نسيت ذلك، ليس للزمن ذاكرة غير أنه فنان."[2] فهو يرى أن الزمان قد نسيه حيث لم تبق له ذاكرة، كما يرى أن هذا الزمن قد تفنن في رسم ذكرياته، أيضا تفنن فيه كشخص فجعله يكبر، وكأن الزمن سبقه وأدار له ظهره، بدليل أنه لم يتعرف على ابنته لم يعهدها بهذا الشكل فصراعه هنا كان صراعا مع الزمن.

وفي حديث آخر يقول عن ابنته وهو يصارع ذاته:" فضيلة ولدت في لحظة الكلمات، أرمقها لا أفهم عيناها سوداوان إنها تلمعان وجلتان هاتان العينان ستغيران علي إذن"[3]، وفي هذا

[1] نهال مهيدات: الآخر في الرواية السنوية، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2008، ص 37.

[2] مالك حداد: التلميذ والمدرس، ص9.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المقطع من الرواية مزيج من التشتت والوصف فكأنه في لحظة اختلط عليه كل شيء، في قوله لا أفهم هو يصارع نفسه مع الزمن الذي غيب عليه ملامح ابنته وجعلها شخصا غريبا عليه.

يقول أيضا: "هذه الصغيرة التي لم أعد أعرفها، أعرفها رغم ذلك بقلبي أعرفها، بكامل قلبي غير أنا لا أستطيع أن أتعرف على شيء بطريقة كهذه"[1] نلاحظ أن صراع البطل فيه نوع من الألم، حين لم يستطع التعرف على ابنته التي غيرها الزمن، أصبح يعرفها بقلبه فقط، يصارع الزمن الذي غير كل شيء أمامه، حتى قلبه الذي بدأ بالزوال، قلبه الذي لم يعد قادرا على التعرف على أي شيء، لأن علاقته بالذكريات أصبحت تعتليها الضبابية بعد أن كانت تساعده في التعرف على الأشياء.

وما نلاحظه في هذه الرواية أن "أنا الراوي" غير مستقرة على حال واحد من الصراع، فنجد صراعه مع نفسه على ابنته على وطنه على حبيبته على زوجته التي أرهقه الندم لتركها فالرواية هي عبارة عن صراع داخلي بين الراوي وذاته، حيث يظهر لنا ذلك عبر طياتها فالصراع الذي أثقل كاهله، إضافة إلى الصراعات الأخرى هو صراعه مع ذاته من أجل الوطن الذي حل فيه الخراب فيقول:" كنا في فندق في إحدى قرى الشرق الصغيرة لا أحد يحتكم إلى أمر أحد، العمليات الجراحية كانت تهطل صباحا ومساءا بوسائل تنعتها سخرية اللغة الفرنسية "ثريا" القصف لم يكن ليتوقف"[2] هذه الحرب أفنت القرية و لم تبقي شيئا منها :" لم يسلم مكان

[1] مالك حداد: التلميذ والمدرس،ص 10.

[2] المصدر نفسه، ص 59.

في هذه القرية، سقطت قذيفة في ساحة المدرسة فانتزعت كامل الفناء و لم يتبق من هذه القرية إلا جدار عليه بورتري لماريشال ليوتي، الذي دشن البناية بوصفه من الوريني و "ماريشالا" فرنسيا"[1] هذه صورة من صور الدمار التي خلفها الاستعمار الفرنسي والتي بقيت في ذهن الراوي.

كذلك يوضح في قول آخر أن هذه القرية التي قدمها كنموذج عن باقي القرى التي هجرت نتيجة لتلك الحرب وذلك القصف لأهلها " ذات يوم بعد أن أتاح لي القصف والمرضى بعض الراحة قمت بجولة في هذه القرية التي هجرها أهلها وبهائمها كانت كل القرية منكوبة"[2]، نفهم من حديث الراوي أن هذه الأحداث والمجازر التي حلت ببلده كانت أكبر همه فجعلته يدخل في صراع دائم مع ذاته، هذا الصراع ممزوج باليأس والحزن والندم ومن هنا نستنتج أن صراع "الأنا" مع "ذاتها" هو صراع دائم ومشحون بالتشاؤم بسبب أحداث حدثت لها أثرت في نفسيتها، فجعلتها تصارع من أجل البقاء رغم تلك الرؤية السوداوية

2) صراع الأنا مع الآخر:

إن الصراع القائم بين "الأنا" و"الآخر" كان في حالة مد وجزر، كانت تربطهما علاقة تنافر وبعثرة، لم تأخذ هذه العلاقة مسار الانسجام والتناغم فتلك "الأنا" لم تكن قادرة على التواصل مع "الآخر"، وهذا ما يتكشف لنا في أغوار الرواية، فالآخر الذي هو (فضيلة) وحدها

[1] مالك حداد: التلميذ والمدرس، ص 59

[2] المصدر نفسه، ص60.

من كانت تأخذ وتعطي في الكلام لم تجد أي إجابة على كل تلك الأسئلة التي طرحتها :" لن أقول لها: : إني أنصت إليك يا ابنتي"[1]

كذلك في قول آخر:" ولكنني لم أقل شيئا لم أنبس ببنت شفة"[2].

إذن هو صراع عقيم، جعل هذا "الآخر" لا يعرف وضعه من ذلك الصراع جعله يعطي فقط ولا يأخذ، فدور الوالد هنا هو الإنصات فقط ودور (فضيلة) ابنته هو الكلام.

يقول أيضا:" اعتدلت مستعدا للاستماع"[3] هو لم يقل اعتدلت مستعدا للاستماع والحوار، وكأنه يوضح أنه مستعد للإنصات فقط، فنفهم أنه لا يريد كشف أسرار أفكاره للطرف الآخر.

أيضا يوضح تلك الأفكار التي تدور في رأسه من خلال كلام (فضيلة) التي تقول:

- "أنتظر ولدا ولا أرغب بهذا الولد"[4].

هو كلام لا توجد له إجابة واضحة، بل كانت الإجابة في قرارة الوالد، يقول:

"كانت الكلمات ترتسم في الصمت.

لطالما حلمت بهذا الولد الذي ينتظره والده.

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 14.
[2] المصدر نفسه، ص 17.
[3] المصدر نفسه، ص 19.
[4] المصدر نفسه ،ص 20.

ثم أضافت:

– عليك أن تعي بأنه وفي الظروف الراهنة.....فم جميل، ولكنه ليس محقا"[1]

ما نلاحظه أن الصراع بين الأب وابنته صراع لا اتصال فيه بل يميزه الانفصال لأن الأب كان يصارع نفسه على وضع فضيلة يصارع كلامها بينما كانت هي تنتظر إجابة، إضافة إلى ذلك نجد أن كلام (فضيلة) وضعت له مطة(–) لأنه صراع خارجي فهي تصارع أباها، بينما حديث الوالد لم يوضع له أي إشارة، وهو دليل على أن "الأنا" في صراع مع نفسها حتى وإن كان هناك طرف آخر خارجي.

كذلك يتبين لنا في قول آخر:

–" لم تتغير كثيرا.

وهم صغير ذو واحدة وهدنة وسط حرب صحراء لم أعلنها ... غير أنها سوف تفسر كل شيء"1

نفهم من هذه الجملة أن الوالد يأبى أن يجيب على كلام ابنته وكأنه ينتظر من خلال هذا الكلام تفسير لكل شيء يدور في رأسه.

وتكمل (فضيلة) حديثها :

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 20.

" – أنت في صحة جيدة

أستنتج أن فضيلة تعاني من قصر النظر"[1]

هكذا كان الصراع بين "الأنا" و"الآخر" داخل الرواية غير مستقيم على نحو سؤال من "الأنا" يجد جوابا من "الآخر" والعكس، بالإضافة إلى أن الخطاب ومساره تعلق بالأنا التي كانت تعاني الانغلاق والعزلة مما أدى إلى "انعدام الحل المناسب وانتقاء قرار محتمل لمعالجة المشاكل التي تراكمت على مر الزمن"[2] داخل هذه الأنا المتألمة.

4. الهوية الثقافية:

يعد مفهوم الهوية من المواضيع التي أثارت نقاشا بين الباحثين، حيث رأوا أن الهوية ليس لها تعريف شامل، فتعريفها في علم يختلف عن تعريفها في علم آخر، فنجدها في معجم الوسيط :" (الهوية): (في الفلسفة): حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره ، وبطاقة يثبت فيها اسم الشخص وحقيقته ومولده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية أيضا"[3]

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 20.

[2] محمد الداهي: صورة الأنا والآخر في السرد، ص 296.

[3] مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، ص 298، مادة(هنَّ، هَاذ).

أما التعريف الاصطلاحي للهوية فقد تعدد حيث لا نجد مفهوما مضبوطا لهذا المصطلح فبالبحث تبين أن مفهوم الهوية غربي لم يدخل على لغتنا العربية إلا حديثا، فالهوية في تراثنا العربي تعني الحرية، والأمة، والقومية، والمساواة، والوطن، والوطنية، والثورة ...الخ"[1]

هذا وقد أخذت الهوية مفهوما آخر فنجد (محمد سبيلا) يرى " أن الهوية الثقافية هي «مجموع السمات النفسية والاجتماعية والحضارية المميزة لأمتنا عبر تاريخها الطويل»"[2] إذ أن لكل فرد من هذه الأمة الحق في أخذ هوية تميزه عن غيره ولا يمكن أن ينزعها منه أحد.

أما إذا رجعنا إلى تاريخ الأمم العربية الإسلامية، نجدها قد " تعرضت خلال تاريخها الطويل لسلسلة من التحديات الكبرى والخطيرة دخلت خلالها أمتنا في مواجهات شتى من أجل الحفاظ على هويتها وخصوصيتها الثقافية والحضارية"[3] لأن الهوية هي حقيقة الشخص وكينونته التي تميزه عن غيره.

وإذا عدنا إلى تاريخ كل الروايات العربية ونخص بالذكر الجزائرية التي كتبت في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، نجد أن كتابها قد تطرقوا لأزمة الهوية الثقافية، لأن الاستعمار الفرنسي في ذلك الوقت حاول بقوته العسكرية، والسياسية، والثقافية، سلب هوية تلك الدول الضعيفة وإحلال محلها هويته للسيطرة عليه وهذا ما أدى إلى ظهور ما يسمى بأزمة الهوية.

[1] ينظر: مجموعة باحثين: العولمة والهوية الثقافية، سلسلة أبحاث المؤتمرات، القاهرة، ص 401.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] خليل نوري سيهر العاني: "الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية "، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ع 214، بغداد، العراق، ط1، 2009، ص7.

وهذا ما نحاول البحث عنه في الرواية التي نحن بصدد دراستها وهي: (التلميذ والدرس) لمالك حداد وذلك لاستخراج أبعاد الهوية الثقافية فيها

فعند قراءتنا للرواية في صفحتها الأولى نجد البطل يقول:" حالة مدينة فقط، ومجموعة من الهلوسات والاندهاش تجاه بقائي ما تعرفت على نفسي فقط"[1] ليقول في موضع آخر:" لم أعد أعرف ابنتي" [2] نلاحظ أن هويته مشتتة ومقسمة وممزقة بين هويتين، وكأنه أراد أن يثبت بهذا القول عدم تعرفه على نفسه وعلى ابنته في الوقت الحاضر، ففي الماضي كانت هويته جزائرية هوية متمسكة بعاداتها وتقاليدها هوية غير مفككة لم تدخل عليها أي هوية أجنبية، أما الآن وبعد دخول الاستعمار الفرنسي ومعايشته له كل هذه الفترة، تفككت هويته إلى هويتين إذ نجد الراوي يقول: "هذه الصغيرة لم أعد أعرفها أعرفها رغم ذلك"[3] نفهم أن داخله هوية أخرى، هي من جعلته مشتتا إلا أننا نلاحظ أنه متمسك بهويته الجزائرية الأصلية، وما يمكننا أن نستخلصه أنه ذو هوية مزدوجة هوية جزائرية وهوية فرنسية، فهو ضائع بين ما كان عليه وما هو فيه الآن.

وما نعرفه أن" الهوية لا تشكل أي إشكالية أو أحجية أو معضلة بالنسبة له فهو يمارسها في حياته اليومية ويكسبها من المجتمع الذي يعيش فيه"[4] فله هنا تعود على الشخص أو الفرد، وهذا ما لم نجده في بطل روايتنا لأنه لا يعيش في وطن واحد مع هوية واحدة، بل عاش

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص9.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص10.

[4] مجموعة باحثين: العولمة والهوية الثقافية، ص 271.

في وطنين مع ممارسة هويتين هوية المستعمر الذي أثر في عادات دينه ولغته وهويته، وما يؤكد ذلك قوله: "أنا غربي في ظاهري، ظاهري فقط"[1]، فهو مشتت بين هويته الجزائرية التي نهض عليها، وظاهره المتأثر بالغرب.

وعند مواصلتها لقراءة طيات الرواية نجد أن الكاتب قد تطرق إلى هويات ثقافية عدة، كالهوية الثقافية الدينية، إذ يشير في مواضع عدة من الرواية إلى بعض العادات التي لا تنتمي إلى ديننا الحنيف في قوله:" عند عودتي كانت فضيلة تدخن، لا أحبذ أن المرأة تدخن وبخاصة إذا كانت جزائرية"[2] فالتدخين في ديننا مكروه، فكيف لامرأة جزائرية أن تدخن، هي عادة سيئة دخيلة على عاداتنا وديننا الكريم، فابنته (فضيلة) الجزائرية غلبت عليها الثقافة الفرنسية وذلك لأنها عاشت منذ صغرها في فرنسا، وفي قول آخر نجد بطل الرواية (والد فضيلة) متأثر جدا مع نوع من الاستغراب بعادة التدخين التي رآها في ابنته :" كيف سمح لها عمار بالتدخين؟ صراحة أنا خارج اللعبة هنا أيضا أرتكب خيانة"[3]وكأنه يتبرأ مما هي عليه (فضيلة) ليلصق الذنب كله في (عُمار) وهو عشيقها ويلقي على عاتقه كل اللوم ويؤكد:" ولكي أكون أكثر صراحة، فإنني ألوم عمار على سماحة لفضيلة بالتدخين"[4] الأب هنا يتهرب من مسؤوليته اتجاه ابنته ونلحظ ذلك في تكراره لهذه الجملة لأكثر من مرة عبر صفحات الرواية.

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس، ص 21.
[2] المصدر نفسه، ص19.
[3] المصدر نفسه، ص 74.
[4] المصدر نفسه، ص 76.

كما نلاحظ أيضا أن الأب قد انتبه إلى أدق التفاصيل في ابنته حتى أنه لاحظ لباسها فقال:" ... إنها ترتدي سروالا رماديا مشدودا إلى خصرها بعنف.

قميص من النايلون الأزرق معشق بجبيبات بيضاء يغلف صدرا سخيا ..."[1] إذ ندرك مما سبق أن (فضيلة) تخلت عن كل ما هو جزائري لتتقمص الهوية الغربية بكل عاداتها، إذ نجدها تتماهى في الهوية الفرنسية من خلال تشبهها بالفرنسيات في لباسهن وتعاطيهن التدخين لتتفاقم الهوة أكثر من خلال العلاقة غير الشرعية التي أقامتها مع عشيقها (عُمار) وهي في الطور الثانوي، وهو ما يتنافى مع ديننا الإسلامي، وتقول (فضيلة) وهي تخبر والدها عن هذه العلاقة :" ولكننا نمارس الحب في الظروف الراهنة، إنني لن أقول هذا لن أقول أي شيء حيائي يمنعني"[2] فهي تعي أن ما تفعله لا يتماشى مع عاداتنا نحن المسلمين إلا أنها رغم ذلك تخبره بحملها فتقول: "أنتظر ولدا ولا أرغب بهذا الولد"[3]

لقد ارتكبت جريمتين جريمة الزنا وجريمة إجهاض الولد، بذلك تخالف ضوابط أوصى بها الإسلام " ففي العصر الإسلامي الأول كان طابع الهوية يحمل اتجاها عقائديا، فالهوية الدينية هي التي نادى بها الإسلام وحرص النبي "صلى الله عليه وسلم" وأصحابه المسلمين على توثيقها

[1] مالك حداد: التلميذ والدرس ، ص 50.

[2] المصدر نفسه، ص21.

[3] المصدر نفسه ، ص 20.

في النفوس دون الالتفات إلى الأحساب والأنساب والانتماء"[1] فالعربي يجب أن يؤكد على ثقافته الدينية مهما تأثر بالديانات الأخرى، وهذا ما كان على (فضيلة) أن تتمسك به.

أيضا وكما سبق الذكر تطرق الكاتب إلى هوية ثقافية أخرى وهي الهوية الثقافية السياسية، من خلال تأثره بما حدث في وطنه الجزائر وتلك السياسات العشوائية التي استعملها المستعمر ضد الجزائر والجزائريين، فخص من تلك الأحداث مجازر 8 ماي 1945 فيقول:" يحبان المطر الذي يجعل الحلزون وبائعي الورود يخرجون إلى الشارع، يحبان الجو الجميل الذي يجعل الأزاهير تخرج، يجعل الدموع تنبثق هذا الشهر هذا الشهر الذي فاق الجميع في لغته شهر الجحيم !..."[2]من خلال هذا نفهم أن الكاتب قد أثرت فيه أحداث 8 ماي و أثارت حزنه لما نتج عنها.

ليقول في موضع أخر:" سنوات مرت الآن، وكل أماسي الاثنين تصدح القناة الفرنسية آر.تي.أف بحصيلة أمجادها مفادها أنه ... تم القضاء في الميدان على كذا جزائري ..."[3]

هي سياسات اتبعتها فرنسا لقتل شعب وتجويعه وسلب ممتلكاته فالكاتب رغم أنه كان يعيش في فرنسا إلا أنه كان يتابع أخبار بلاده التي اغتصب شعبها " فالهوية مفهوم ذهني

[1] سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي:عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص 26-27.
[2] مالك حداد، التلميذ والمدرس، ص27.
[3] المصدر نفسه، ص 31.

قبل أن تكون وجودا محسوسا" [1] حيث لها دور كبير في تأكيد الذات أو نفيها، فالروائي رغم اندماجه في مجتمع آخر، إلا أنه لم يترك هويته تنفى وبقي له قلب يفكر.

ومن هنا نستنتج أن سبب تمزق هذه الهوية هي تلك الثورات التي حلت بالأمة الإسلامية من احتلال وما نتج عنه من ظروف اجتماعية، سياسية واقتصادية إلى غير ذلك، "ولكي تستقر الهوية الفردية باعتبارها نسقا موحدا ذا ديمومة نسبية ينبغي تحقيقها في كل مرة بالانفصال والتميز عن الآخر وإثبات الاختلاف عنه ذهنيا ووجدانيا"[2] أي بالبعد عن الآخر يمكن للأنا أن تبرز هويتها وتميز نفسها عن غيرها فإحساس الفرد بالتفرد والاستقلالية يجعله يعي ذاته والآخرين.

هذه كلها مشاكل تعريفية مهمة بالنسبة للهوية العربية استنبطناها من رواية التلميذ والدرس، وهي مازالت تنتظر حلولا ربما لن تأتي من ضمن الثقافة نفسها في زمن غلبت فيه ثقافة الغير على ثقافتنا.[3]

[1] مجموعة باحثين: العولمة والهوية الثقافية، ص273.

[2] محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، دط، 2003، ص 97.

[3] ينظر: ناصر الرباط:"عقدة الهوية في الثقافة العربية"، مجلة القبس، ع9، 2008، ص33.

خاتمة

بعد دراستنا لموضوع الأنا والآخر، توصلنا إلى مجموعة من النتائج كانت كالآتي:

- ❖ إن الرواية العربية تظل – أكثر من غيرها – المتنفس الوحيد للتعبير عن القضايا العربية خاصة في تلك الحقب الاستعمارية التي مرت بها الشعوب.
- ❖ إن "الأنا" جوهر قائم بذاته لا يتغير على الرغم مما يلحقه من تشويه وتدنيس.
- ❖ إن "الأنا" هو الذي يحدد "الآخر" بحسب القضية أو الإشكالية التي تواجهه.
- ❖ إن "الأنا" و"الآخر" وجهان لعملة واحدة، ولا وجود "للأنا" إلا بوجود "الآخر"، فهما ذاتان منفصلتان ومتصلتان في الوقت نفسه.
- ❖ إن التأثر والتأثير بين "الأنا" و"الآخر" يتجسد في تبادل الأفكار والعادات والتقاليد نتيجة احتكاك القطبين ببعضهما البعض.
- ❖ إن رواية (التلميذ والدرس) جسدت لنا "الأنا" و"الآخر" وأعطت لهذا "الآخر" صورا عديدة (الوطن، الابنة ...).
- ❖ كما بينت الرواية بعض التفاصيل التاريخية التي تعكس الواقع الجزائري بين طرفي الصراع "الأنا" و"الآخر" المتمثلين في الاحتلال الفرنسي والجزائر المحتلة.

وفي الأخير نحن لا ندعي أننا قد بلغنا في بحثنا هذا الكمال، ولا نزعم أنه جمع السلامة من كل نقص، كيف والبشر محل النقص بلا ريب، بل نجزم أن جهدنا لم يحقق إلا قدرا محدودا، وعسى أن يوفقنا ربي للأفضل، لنستكمل النقص ونسد الخلل.

ملحق

مـــالك حـــــداد

1. ملخص الرواية:

رواية (التلميذ والدرس) للكاتب والروائي الجزائري (مالك حداد)، هذه الرواية التي صدرت عام 1960 كثورة تحريرية للضمير الإنساني، فجاءت لتعبر عن ألم شعب على لسان شاهد لتلك الحقبة الماضية من الاحتلال وما نتج من أحداث وراءه ، فقد جاءت ولادة هذا العمل الأدبي فرنسية في صدورها الأول بعدها أخذت عدة ترجمات.

في الرواية لا توجد معالم واضحة للمكان سوى أنها مدينة صغيرة ناعسة، في فرنسا، قليلة الأصوات، يبقى فيها صوت (إيدير) الطبيب مهيمنا، وهو يتحدث عن الحياة التي عاشها وعن ابنته التي تبلغ من العمر اثنين وعشرين سنة، تلك الفتاة تدعى (فضيلة) وهي منخرطة في صفوف الثورة الجزائرية، كانت هذه الفتاة حاملا من طالب يدعى (عمار)، فأبت ورفضت هذا الحمل، ونجدها تصف هذا الجنين بالعبء والحمل الثقيل وإن كان من دمها، فقصدت أباها الطبيب المقيم في المدينة الناعسة منذ عام 1945 ليساعدها على الإجهاض، لكنه يرفض الفكرة ليدخل بعدها في صراع مع نفسه محاولا إيجاد طريقة وحل ليبقي الجنين في أحشائها، باذلا في أمرها جهدا كبيرا بالرغم من أنه يحمل روح جزائرية محافظة، من طينة تتعامل مع الحمل غير الشرعي على أنه فضيحة وعار.

ويبقى ذلك الصراع حتى آخر الرواية برفض الأب إنزال الجنين، فيوكل المهمة إلى صديقه (كوست) قبل أن يموت، لينجح هذا الأخير في هذه المهمة، بمساعدته (لفضيلة) في الاحتفاظ بجنينها وعدم إنزاله والتخلي عنه، وفي آخر الرواية نستنتج أن (فضيلة) قد أنجبت

الولد وهذا ما يتبين لنا في قول والدها" تعالى أيها الصغير فضيلة في انتظارنا" كل هذا بمساعدة والدها والدكتور (كوست)، الذي كان مخلصا ومتفانيا لمهنته الطبية حتى آخر يوم في حياته، ليظهر لنا ذلك على لسان السارد في آخر سطر من الرواية :"العملية التي قام بها الدكتور كوست كانت ناجحة"

كما تطرق إلى أحداث في الرواية كانت تمثل جزءا من عذابه النفسي، كتركه لوطنه وهو في أمس الحاجة إليه، وهجره لزوجته قبل موتها وتخليه عن ابنته، أيضا فراق حبيبته الذي جعله يدخل في دوامة من الألم والحزن والعذاب.

2. حياة الروائي الجزائري "مالك حداد":

" يعد (مالك حداد) نموذجا للكاتب الجزائري الذي يعيش حالة اغتراب لغوية، أدت به في النهاية إلى أن يصرخ مباشرة بعد الاستقلال "الفرنسية منفاي لذا قررت أن أصمت" وهو القائل قبل ذلك " أكتب بالفرنسية لأقول للفرنسيين أنني لست فرنسيا".

ولد (مالك حداد) في صيف 1927 بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري لأب أمازيغي، جاء إليها قبل سنوات، وفيها عاش طفولته وتلقى تعليمه الأول، ثم التحق بجامعة "إكس أون بروفاس" بفرنسا، وحصل على شهادة في الحقوق.

يعتبر (مالك حداد) أن تاريخ ميلاده الحقيقي هو: مايو /أيار 1945، وهو اليوم الذي خرج فيه الجزائريون إلى الشوارع مطالبين بالحرية التي وعدتهم بها فرنسا إن هم وقفوا معها ضد هتلر، لكنها قابلتهم بالرصاص الذي حصد منهم 45 ألف شهيد، برمجت هذه المجازر الرهيبة

(مالك حداد) على نشدان الحرية، والنزوع نحو الثورة، وهو الخيار الذي اعتنقه بعد اندلاعها في منتصف خمسينيات القرن العشرين، فكان أحد أصواتها القوية بلسان فرنسي أدهش الفرنسيين أنفسهم.

عاد مباشرة بعد الاستقلال إلى قسنطينة المدينة التي سكنت نفسه ونصه، وقرر أن يرعى المواهب الأدبية الجديدة من خلال إشرافه على القسم الثقافي ليومية " النصر"، ثم مجلة "أمال" التي أسست لجيل أدبي جديد.

كان (حداد) يرى الأصوات الجديدة عزاء بعد أن قرر "الصمت الإبداعي" فتحول إلى مدرسة أدبية في الرواية والشعر، ومن المفارقة أن معظم المنخرطين فيها من الكتاب باللغة العربية.

لقد كان توليه الأمانة العامة لاتحاد الكتاب الجزائريين واضطلاعه بمنصب عال في وزارة الثقافة والإعلام في عهد الرئيس الراحل (هواري بو مدين) نافذة منحت له كثيرا من الانتقاد من المعارضة التي رأت أنه زكى نظاما قامعا للحريات.

رحل (مالك حداد) في الذكرى السادسة عشر لاستقلال الجزائر عام 1978 مخلفا رصيدا أدبيا وافرا يحلم بالترجمة"[1]

[1] عبد الرزاق بوكبة، "الكاتب الجزائري الراحل مالك حداد"، www.aljazeera.net، 18:01، 15أفريل 2016

3. أهم أعماله:

من مؤلفاته بالفرنسية:

- الشقاء في خطر (شعر 1956)
- الانطباع الأخير (رواية 1958)
- سأهبك غزالة (رواية 1959)
- التلميذ والدرس (رواية 1960)
- رصيف الأزهار لم يعد يجيب (رواية 1961)
- أسمع وسأناديك (شعر 1961)
- الأصفار تدور في الفراغ (دراسة 1961)

وترجمت أغلب الأعمال إلى اللغة العربية.[1]

[1] أحمد الجزائري " مالك حداد" www.aljazeera.net، 18:05، 15أفريل 2016

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. المصادر:

2. مالك حداد : التلميذ والدرس، تر: شرف الدين شكري، ميديا-بلوس، قسنطينة، دط، 2009.

2. المراجع:

أ. المراجع بالعربية:

3. ابراهيم أحمد ملحم، قراءة الآخر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2008

4. ابراهيم ملحم: جماليات الأنا في الخطاب الشعري، دار مكتبة الكندي، عمان، الأردن، ط1، 2014.

5. أحمد أمين: الشرق والغرب، مطبعة الجنة لتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1955.

6. أحمد ياسين السليماني: التجلبات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009.

7. إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012.

8. أم الخير جبور: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية الفرنسية، دراسة سوسيونقدية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013.

9. بدر الدين الأنصاري: التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، جامعة الكويت، الكويت، ط1، 1998.

10. تركي الحمد : الثقافة العربية في عصر العولمة، دار السافي، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

11. حسين العويدات: الآخر في الثقافة العربية في القرن السادس من مطلع القرن العشرين، دار السافي، ط1، 2010.

12. حنا الفاخوري: الفخر والحماسة، دار المعارف، القاهرة، ط د، دت.

13. سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي:عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009.

14. سهاد توفيق الرياحي، ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء، (دراسة دوازنة نقدية)، دار جليس الزمان، عمان، ط 1، 2012.

15. صالح صالح: سرد الآخر، المركز الثقافي العربي، دب، ط1، 2003.

16. ظاهر محمد هزار الزواهرة: اللون ودلالته في الشعر، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.

17. عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض "أنموذجا"، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط 2، 2009.

18. فاضل أحمد القعود: جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي دراسة نصية، دار غيداء، عمان، ط1، 2012.

19. ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، دط، 2013.

20. //: صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

21. محمد الداهي: صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013.

22. محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2006.

23. محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، دط، 2003.

24. محمد نور الدين أفاية: الغرب في المتخيل العربي، منشورات دائرة الثقافة والإسلام، الشارقة، ط1، 1996.

25. محمد مورو:الإسلام و أمريكا حوار أم مواجهة، الدبس للنشر، دط، 2001.

26. نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

27. نجيب الحصادي: جدلية الأنا والآخر، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1، 1996.

28. نهال مهيدات: الآخر في الرواية السنوية، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2008.

ب. المراجع المترجمة

29. إيغور كون: البحث عن الذات دراسة في الشخصية ووعي الذات، ترغسان دارين نصر، دار مصر، دمشق، سوريا، دط، دت.

30. بول ريكور: الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، مركز المنظمة العربية، بيروت، ط1، 2005.

31. تيزفيطان تودوروف: فتح أمريكا مسألة الآخر، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ط 1، 1992.

32. رولوماي: البحث عن الذات، تر: عبد العلي حساني، دار الفارس، عمان، ط 1، 1993.

33. سيجموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط 4، 1982.

34. كارل غوستاف يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، تر: نبيل محسن، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1997.

3. المعاجم والقواميس

35. بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان بيروت، ط ج، 1987.

36. ابن منظور الإفريقي، جمال الدين محمد بن كرم: لسان العرب، دار المعارف، مج 1، ج 3، دت.

37. جميل صليبا :المعجم الفلسفي،ج1، دار الكتاب اللبناني،بيروت،لبنان،دط،1982.

38. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004.

39. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط 5، 2007.

40. مسعود جبران: الرائد معجم ألفبائي في اللغة والإملاء، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2005.

4. الرسائل الجامعية

41. سامية سي يوسف: "اللغة وحظور الأنساق الثقافية في الخطاب الروائي": الأصل وترجمته، رواية "أواح البحر calumus" "لمرزاق يقطاش أنموذجا" مخطوط ماجستير، تخصص الدراسات اللغوية والأدبية، إشراف أحمد حميدوس، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العقيد آكلي محند أولحاج، البويرة، 2014/2013.

42. كريمة سعيدي: "صورة الآخر في أدب لرحلات العباسي ابن فضلان "نموذجا"، مخطوط لنيل شهادة ماستر، إشراف سليم بتقة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013، 2014.

43. نعيمة قوادي: "جماليات تماهي الأنا والأنا الآخر في رواية السير ذاتية بحر الصمت، لـــ ياسمينة صالح أنموذجا"، مخطوط ماجستير، تخصص تحليل الخطاب السردي، إشراف عبد القادر عميش، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حسين بن بوعلي، الشلف، 2008، 2009.

5. المجلات

44. مجلة الأثر، ع 20 ، ورقلة، الجزائر، جوان، 2014.

45. مجلة التبيين، د ع، حيدرة، الجزائر، دت.

46. مجلة جامعة دمشق، ع4، 5، دمشق، ، 2008.

47. مجلة القبس، ع9، دب، 2008.

48. مجلة المخبر، ع7، بسكرة، 2011.

49. مجلة مقاليد، ع8، جامعة مستغانم (الجزائر)، 2015

6. السلاسل والدوريات

50. الباحثون السوريون:" الهو والأنا والأنا الأعلى".

51. خليل نوري سيهر العاني: "الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية "، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ع 214، بغداد، العراق، ط1، 2009.

52. مجموعة باحثين: "العولمة والهوية الثقافية"، سلسلة أبحاث المؤتمرات القاهرة، د ع، دب، دط، دت.

7. المواقع الالكترونية

53. https://ar.m.wikipedia.org

54. https://on.m.wikipedia.ong

55. www.alitihad.ae

56. www.aljazeera.net

57. www.maaber.org

58. www.sst5.com

فهرس الموضوعات

الفهرس

مقدمة	أ،ب، ج،د
مدخل: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و أهم روادها	
1. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية	10
2. أبرز كتاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية	16
الفصل الأول: الأنـــا مـــقـــابـــــل الآخـــــــر	
1. الأنا في المعجم	20
2. الأنا في المنظور الفلسفي	21
3. الأنا في المنظور النفسي	23
4. ظهور الثنائية الضدية في المعتقد الديني	28
5. علاقة الأنا بالآخر	31
6. التأثر والتأثير بين الأنا والآخر	37
الفصل الثاني: الأنـــا في روايـــة التلميـــذ والدرس	
1. الأنا عبر ضمائر السرد	41
2. أنواع الأنا في الرواية	48
3. الصراع داخل الرواية	59
4. الهوية الثقافية	65
خاتمة	72
ملحق	74
قائمة المصادر والمراجع	80
الفهرس	89

ملخص:

إن الحديث عن الأنا هو الحديث عن الآخر، حيث لا يمكن الفصل بينهما، إذ أن العلاقة التي تربطهما ذات أبعاد سياسية واجتماعية وحضارية وثقافية، فثنائية الأنا والآخر من الجدليات التي فرضت نفسها على الساحة الأدبية والفلسفية والفكرية، وذلك باعتبار أن الرواية من أكثر الفنون الأدبية القادرة على التعبير عن مثل هذه القضايا الشائكة بين الأنا والآخر، خاصة إذا كانت متعلقة بالهوية والمستعمر، وهذا ما جاء عند كتابنا سواء الذين كتبوا باللغة الفرنسية أم العربية، ومثال ذلك رواية التلميذ والدرس (لمالك حداد) التي تجسد لنا الأنا والآخر بأشكال عدة.

Résumé :

Le discours sur sois-même, c'est celui de l'autre, puisqu'on peut pas les séparé car la relation qui les attache a des dimensions politiques, sociales et culturelle.

Le duo «moi et l'autre » est l'un des polîmes qui s'est posé sur l'arène littéraire, philosophique et intellectuelle en considérant que le roman (l'histoire) est un des arts littéraire capable de parler des problèmes qui se posent entre le moi et l'autre, spécialement c'est elle a une relation avec l'identité et le colonialisme et c'est cela qui est écrit par nos auteurs sois ceux qui ont écrit en français ou en arabe par exemple l'histoire de "l'élève et le cour" (Altelmithe oua Eddars) par «Malek Haddad » qui incarne le moi et l'autre dans plusieurs formes.